غير مرخصة للطباعة

المحور السابـع

فقه الأُمَّة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

١١٧

النَّاسُ والحَقُّ

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عن أبي هريــرة رضي الله عنه قال: قــال النبي ﷺ: «**أَصْدَقُ كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا اللهَ باطل**». متفق عليه.

عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن، وبينهما مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثير من النــاس، فمن اتقى المُشَــبَّهَاتِ استبرأ لدِينه وعرضه**». متفق عليه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها**». رواه الترمذي وابن ماجه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الَّذي هدانا لهـذا وما كُنَّا لنهتديَ لـولا أنْ هدانا الله. لقد جاءت رسلُ ربِّنا بالحقِّ.

والصلاة والسلام على رسوله الَّذي بعثه بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه، وعلى آله وصحبه أهل الحقِّ وحزبه، وعلى كلِّ مَن اتَّبعه ودعا إليه إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فهذه رسـالة موضوعها «الحقُّ»، ومرجعها الأوَّل هو القرآن الكريم، وأسلوبها هو الحوار.

فهي دراسة قرآنيَّة عن مفهوم «الحقِّ» وما تدلُّ عليه هذه الكلمة في الكتاب العزيـز، وكيف أودع الله الفطرةَ البشـريَّةَ حـبَّ الحقِّ وطلَبه، والتوجُّهَ إليه، وبيان الوسـيلة الفذَّة المضمونة لمعرفة الحقِّ والاهتداء إليه ـ وهـي الوحي الإلٰهي ـ وبيان الصلة بيـن الوحي الإلٰهي والعقل الإنسـاني، وماذا ترك الوحي للعقل من مجـالات يعمل بها ويصول، وبيان المرجعِ السـماويِّ الوحيد الباقي للبَشـر في الأرض ليعرفوا به الحقَّ وينصروه، وهو القرآنُ الَّذي ميَّزه الله بالوضوح والتأثير والشمول

QaradawiBooks.com

والخلود، وجعله تِبْيانًا لكلِّ شيء، وكيف ضلَّ المسلمون وذلُّوا حينما غفلوا عنه!

ثم بيان موقف النَّاس من الحقِّ، وأسباب إعراضهم عنه، وكراهيتهم له، وعداوتهم لأهله، عن جهلٍ وغفلةٍ أو عن عنادٍ وهوًى. ولماذا يطلب بعضُ النَّاس الحقَّ ولا يهتدون إليه.

ثم ماذا على الإنسان من أعباء وواجبات نحو «الحقِّ» إذا عرفه واهتدى إليه، وماذا ينتظره من جزاء في الدُّنيا والآخرة، إذا ثبت في معركة الصراع بين الحقِّ والباطل.

وأخيرًا قيمة الحضارة السائدة اليوم وكم فيها من حقٍّ وباطل.

كل هذه القضايا الهامَّة تناولتْها هذه الرسالةُ الصغيرة بأسلوبٍ قريبٍ كُلَّ القُرْبِ، بسيطٍ غايةَ البساطة، بعيدٍ عن التعقيد والتفلسف والتكلُّف. هو أسلوب الحوار بين شيخ مربٍّ وتلميذ مُتَعَلِّم. وهو أسلوب استعمله علماؤنا من قديم، كما نجد ذلك عند ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاورة بين سُنِّيٍّ وقَدَرِيٍّ، وبين قَدَرِيٍّ وجَبْريٍّ.

وكما رأينا ذلك حديثًا في محاورات المُصْلِح والمُقَلِّد، للسيِّد رشيد رضا، ومحاورات الشيخ المرزوق وحيران بن الأضعف في «الجواب الإلٰهي عن العلم والفلسفة» للشيخ حسين الجسر، كما استعمله ولده الشيخ نديم الجسر في كتابه القيم «قصَّة الإيمان بين الدِّين والعلم والفلسفة». بل إنَّ القرآن الكريم نَفْسَه استخدم أسلوب الحوار ليُبْرز به قضايا الوجود الكبرى: قضايا الألوهيَّة والرسالة والبعث والجزاء، كما نشاهد ذلك واضحًا في عرضه لقصص الرسل مع أقوامهم.

QaradawiBooks.com

وقد أردتُ بهذه الرسالة القرآنيَّة الموجزة أنْ أعرِّف الشباب المثقَّف بالحقِّ، كما يهدي إليه كتابُهم، وأنْ أُحَبِّبه إليهم، حتَّى يؤمنوا به وينصروه، ويكونوا من جنده وحزبه.

وإنِّي لأحمد اللهَ ﷻ أن كُتب لهذه الرسالة القَبول في قلوب المسلمين، فكتب إليَّ مسلمون في إفريقيا يطلبونها، وقام إخواننا الأتراك بترجمتها إلى اللغة التركيَّة، واللهَ تعالى أسألُ أن يجعلَها خالصةً لوجهه، وأن ينفع بها كاتبَها وقارئها وناشرها.

اللهمَّ أَرِنا الحقَّ حقًّا وارزُقْنا اتِّباعه، وأرنا الباطلَ باطلًا وارزُقْنا اجتنابَه، آمين.

الفقير إلى عفو ربِّه

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

النَّاسُ والحقُّ

قال الطالبُ الفتى لأستاذه الشَّيْخ:

لطالما حدَّثتنا عن «الحقِّ»، وحبَّبت إلينا العيش من أجله، كما هوَّنتَ علينا الموت في سبيله، ولكنَّك علَّمتنا أنَّ تحديد «مفاهيم» الكلمات وما تدلُّ عليه أمرٌ يجب أنْ يسبق كلَّ حركةٍ وكلَّ عمل، حتَّى يتَّضح لنا الهدف، ولا يلتبس علينا الطريق، فما المفهوم المحدَّد لكلمة «الحقِّ»؟

قال الأستاذ المُرَبِّي وقد أُعجب بحديثِ تلميذه:

أحسنتَ يا بُنَيَّ فيما طلبتَ.

إنَّ كلمة «الحقِّ» قليلة الحروف، ولكنَّها كبيرة المعنى! وقد استعملها ذوو الاختصاصات المتنوِّعة استعمالات شتَّى:

استعملها رجالُ الفلسفة دالَّة على إحدى القِيَم العُلْيا الثلاث: الحَقُّ، والخير، والجمال.

واستعملها علماء الأخلاق فيما للإنسان على غيره، وهو ما يقابل الواجب. ولهذا قالوا: كلُّ حقٍّ يقابله واجب.

واستعملها علماء القانون في معنًى آخر، يشمل الحقَّ العينيَّ، والحقَّ الشخصيَّ، حتَّى إنَّ دراسة القانون بكلِّ فروعه لتُسَمَّى دراسة «الحقوق».

QaradawiBooks.com

واستعمل القرآن الكريم كلمة «الحق» فيما يقابل الباطل والضلال، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

قال الطالب:

أحسب أنَّ المفهوم الأخير للحقِّ هو الَّذي يعيننا أنْ نعرفه هنا، وهو الَّذي يحرص كلُّ امرئ على الانتساب إليه ولو لم يكنْ من أهله، ويبرأُ من مقابله ـ وهو الباطل ـ ولو كان في الواقع من أنصاره وحزبه.

قال الأستاذ:

وهذا ما يزيد الأمر تعقيدًا، فإنَّ سائر أهل الباطل يزعمون أنَّهم على الحقِّ، بعضُهم عن جهلٍ وغفلة، وبعضُهم عن عنادٍ ولؤم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. ولكنِّي أضع في يديك مصباحًا يضيء لك معنى الحقِّ.

الحقُّ يا بُنَيَّ ـ كما تهدي إليه الفطرة السليمة ـ هو الأمر الثابت الباقي، والباطل هو الزائل المتغيِّر. فما كان من شأنه الثبات والبقاء فهو «حقٌّ»، وما كان من صفته التلاشي والفناء فهو «الباطل».

وإذا نظرنا إلى الواقع لم نرَ في الموجودات شيئًا يتَّصف بالثبات والبقاء لذاته غير الخالق سبحانه. وكل مَن عداه وما عداه، فليس وجوده لذاته، ولا بقاؤه بنفسه، وإنَّما هو موجود لغيره، وكائن بعد أن لم يكن، وكائن إلى أجل، ثمَّ تُطوى صفحته!

فالحقيقة الناصعة الَّتي تشهد بها الفِطَر والعقول، ويشهد لها كلُّ سطر، بل كلُّ حرفٍ في كتاب الوجود: أنَّ الله هو الحقُّ، وما دونه هو الباطل. وهذا ما أعلن عنه كتاب الله الحقُّ في غير سورة من سوره، فقال:

QaradawiBooks.com

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٦]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

ومن هنا قال الرسول ﷺ: «**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ، كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ**[(١)]»[(٢)].

ومَن ضلَّ عن هذه الحقيقة، فسوف يعرفها غدًا، يوم ينكشف الغطاء عن بصره، فيرى الحقائق عارية مجردة من الأقنعة الزائفة، والألبسة المموهة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص: ٧٥].

إنَّ حيثيَّات هذا الحكم تتلخَّص في هذه الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

قال الطالب لأستاذه:

لقد أنرت لِي السبيلَ بهذا المصباح، وإنَّ صوت الفطرةِ في أعماقي ليُنادِيني بأنَّ اللهَ هو الحقُّ المُبِين، ولكنِّي أسألُك سؤالًا.

قال الأستاذ:

سلْ ما بدا لك، فالعلم خزائن مفاتيحها السؤال.

---

(١) صدر بيت للبيد عجزه:
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ
انظر: ديوان لبيد صـ ١٣٢، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال الفتى:

أَلَسْنا نَصِفُ أقوالًا وأعمالًا وأفكارًا ومذاهب وأشياء بأنَّها الحقُّ، وبأنَّ غيرها باطلٌ؟ فمن أين يجيءُ البطلان لهذه، والحقِّيَّة لتلك؟

قال الشيخ:

إنَّ الأمر يا بُنَيَّ يكتسبُ صفة الحقِّ بقدر اتِّصاله بالحقِّ المطلَق (الله) وانتسابه إليه، ورضاه عنه. ويكتسب الأمر صفة الباطل بقدر بُعده عن الله، وانقطاعه عنه، وإقفاره من رضاه.

فما كان أصلُه من قِبَل الله فهو حقٌّ، وما كان من غير الله فهو باطل.

فإذا عرفت أنَّ الله هو الحقُّ، فاعلمْ أنَّ قولَه «حقٌّ»، وفِعْلَه «حقٌّ»، فهو تعالى لا يقول باطلًا، ولا يفعل باطلًا.

ولهذا كان من دعاء أولي الألباب: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ومن هنا ردَّ القرآن في إنكارٍ وتعجُّبٍ على أولئك الَّذين زعموا أنَّ هذا الخلق ليس له حكمة، وهذه الحياة ليس وراءها غاية، بأنَّ هذا عبثٌ يتنزَّه عنه فعلُ الله الحكيم، وباطلٌ يتعالى عنه المَلِكُ الحَقُّ: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۞ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [صٓ: ٢٧].

QaradawiBooks.com

فما أخبر به تعالى في كتبه على ألسنة رسله فهو «حقٌّ»، وما شرعه تعالى في كتبه وعلى ألسنة رسله فهو «حقٌّ»: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فكلُّ ما أخبر الله به عن عوالم الغيب ونهاية الحياة وحقائق الآخرة فهو «حقٌّ»، يجب التصديق به، والتسليم بصحَّتِه ووقوعه لا محالة.

ومن هنا كان وعدُ الله حقًّا، وكان الموتُ حقًّا، وقيامُ الساعةِ حقًّا، والبعث حقًّا، والحساب حقًّا، والجنَّة حقًّا، والنار حقًّا، فالقرآن يقول: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [قَ: ١٩]، ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٧، ١٨]، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأحقاف: ٣٤]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٨، ٢٩].

هذا وكلُّ ما شرعه الله لعباده من أحكام تُنَظِّم علاقتهم بالله، أو علاقتهم بالكون والحياة، أو علاقتهم بعضهم ببعض أفرادًا وأسرًا، وجماعات؛ فهو «حقٌّ»، يجب الاحتكام إليه، والإذعان له، والتسليم بعدالته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

QaradawiBooks.com

قال الطالب:

إذا كان «الحقُّ» من الوضوح والبساطة بالقدر الَّذي ذكرت، فما بال النَّاس يختلفون اختلافًا كثيرًا في تحديد الطريق إلى الحقِّ، وتحديد المعيار الَّذي يَزِنُون به «الحقَّ» في الأمور من الباطل؟

قال الأستاذ الشيخ:

إنَّ الله ـ يا بُنَيَّ ـ أودع الفطرةَ البَشريَّة حبَّ الحق وطلبه والتوجه إليه، كما أودع العقولَ بذور معرفته، ثمَّ كمَّل ذلك كله بالكتب والرسالات السماويَّة، لنأخذ بيد العقل فلا ينخدع ولا يضلُّ، ونحجب الأذى عن الفطرة فلا تنطمس ولا تنحرف، وبذلك يجتمع النَّاس على كلمةٍ سواء، ويهتدون إلى المحجَّة البيضاء.

اقرأْ معي قول القرآن: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وأظنُّكَ يا بُنَي تُسلِّمُ معي أنَّ مَن أراد أنْ يعرف أفكارَ مؤلِّفٍ أو مبادئ مُفَكِّر أو تعاليم مُصْلِح، فلْيَطْلُبْها ممَّا ألَّفه من كتب وما أذاعه من أحاديث، ونحن نقول هنا أيضًا ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] ـ مَن أراد أنْ يعرف الحقَّ على وجهه الصحيح، مجردًا من شطط البشر، فليعرفه من كتب الله تعالى ورسله.

ولست أنكر دور الفطرة البَشريَّة السليمة ولا دور العقل البَشري الراشد، في معرفة الحقِّ والاهتداء إليه. كلَّا، فإنَّهما نعمتان أنعم الله بهما على الإنسان لينتفع بهما، لا ليُعَطِّلهما. وهل الفطرة السويَّة أو العقل السديد إلَّا ذلك الميزان المعنوي الَّذي نزن به الأفكار والمعاني، كما

QaradawiBooks.com

نزن المادِّيَّات والأجسام بالقَبَّان[1]؟ ذلك الميزانُ الَّذي وهبه الله لأفراد الإنسان كما وهب الكتاب المعصوم للجماعة الإنسانيَّة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

هذا الميزان لا بدَّ منه بجوار الكتاب؛ لأنَّ الإنسان به يعرف حقيَّة الكتاب وصحَّة النبُوَّة، وصدق الرسول. بل بهذا الميزان ـ ميزان الفطرة والعقل ـ يعرف ربَّه، الَّذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه ثمَّ هدى.

لا غِنَى عن هذا الميزان، ولكن لا قيمة لـه أيضًا بغير الاهتداء بنور الكتاب، ولا يُسْتَغنى عنه إلَّا إذا استغنى المخلوق عن الخالق، وهو ما لا يكون.

قال الطالب:

آمنتُ بما تقول يا أستاذي، ولكن ـ ليطمئنَّ قلبي ـ أوجِّه إليك سؤالًا آخرَ زيادةً في الاستيضاح: ما دُمْنا خلقًا نمشي على الأرض، فلماذا نطلبُ الحقَّ من السماء؟! ألا يُعَدُّ ذلك حَجْرًا علينا؟! ولماذا لا نضعُ نحن مقاييسَ الحقِّ لأنفسنا؟

قال الأستاذ:

ليس غريبًا ولا بعيدًا ـ أيُّها التلميذُ النجيب ـ أن تطلب معرفةَ الحقِّ من الله، بل هذا هو المنطقيُّ والطبيعيُّ.

إذا كان الحقُّ هو معرفة حقائق الأشياء، وأسرار الوجود، وغايات الحياة، فالمنطقيُّ أنْ نطلبها من خالق الأشياء ومُدَبِّر الوجود، وواهب الحياة.

(١) القَبَّان: القسطاس، وهو أعدل الموازين وأقومها. انظر: لسان العرب مادتي (ق. س. ط)، (ق. ب. ن).

QaradawiBooks.com

وإذا كان الحقُّ هو دستورَ العدالة الَّذي يفصل بين النَّاس ويُوَزِّع الحقوق والواجبات بالقسطاس، فيعطي كلَّ فرد أو كلَّ أسرة أو جماعة ما له، ويُطالبه بما عليه، فليس مصدرُ هذا الحقِّ إلَّا ربُّ الناس، الَّذي خلق فسوَّى، والَّذي قدَّر فهَدَى، والَّذي يعلم ما يحتاج إليه عباده وما يصلحهم أو يفسدهم، وهم جميعًا لديه سواء، هو ربُّهم، وهم عباده، فلا يتحيَّز لفردٍ ولا لأسرة، ولا لطبقةٍ ولا لأُمَّةٍ ولا لجنسٍ ولا لأهلِ إقليمٍ من الأقاليم أو عصرٍ من الأعصار.

وإذا كان الحقُّ هو قانون الفضيلة الَّتي تحكم الغرائز، وتضبط السلوك، وتسمو بالنفس، وتُهَذِّب الفطرة، وترقى بأخلاق الفرد والمجتمع، فالحقُّ في هذا يُعرف من خالقِ النفس وفاطر الفطرة، العالِم بما يُزَكِّيها وما يُدَسِّيها: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

إنَّ أدرى النَّاس بإصلاحِ جهازٍ ما، هو صانعُه ومنشئُه، واللهُ جلَّ شأنُه هو صانعُ الإنسان، فلماذا يُطلب صلاحُ الإنسان من عند غيرِ الله ربِّ الإنسان؟! ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ٣٦].

وفضلًا عن علمه تعالى بمَن خلق، فهو أرحم بعباده من آبائهم وأمَّهاتهم، بل أبرُّ بهم من أنفسهم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥].

قال الفتى:

ولكن ماذا ترك الكتاب للميزان؟ وبعبارة أخرى ماذا ترك الوحي للعقل؟!

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ الشيخ:

لقد ترك الوحي للعقل أمورًا كثيرة في مجالات مُتَعَدِّدة:

أ ـ ترك للعقل في مجال العقيدة أن يهتدي إلى أعظم حقيقتَيْن في هذا الوجود:

الحقيقة الأولى: وجود الله ووحدانيَّته، فوجود الله ـ كما تهدي إليه الفطرة السليمة ـ يقتضيه كذلك النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولا غَرْوَ إذا أقام القرآنُ الأدلَّة من الكون ومن النَّفْس على وجود الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ويتبع ذلك الأدلَّة العقليَّة الَّتي ذكرها القرآن على وحدانيَّة الله بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۞ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٤].

وفي موضعٍ آخر يقول: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الحقيقة الثانية: ثبوت الوحي والنبوَّة والرسالة. فالعقل هو الَّذي يثبت إمكان ذلك ووقوعه بالفعل، وأنَّ هذا الشخص المعيَّن رسولٌ من عند الله.

العقل هو الحكم الأوَّل والأخير في هذه القضيَّة، ولا مدخل هنا للاستدلال بالنقل ونصوص الوحي؛ إذ كيف يُسْتَدَلُّ بما لم يثبت بعد؟

QaradawiBooks.com

ولهذا قال علماء الإسلام: إنَّ العقلَ أساسُ النقل. ذلك أنَّ العقل بعد اقتناعه بوجوده تعالى وكماله سبحانه، يعلم أنَّ من تمام حكمة الحكيم ورحمة الرحيم ألَّا يترك عباده سُدًى، وألَّا يدَعهم في بحرٍ لُجِّيٍّ من الجهالة والعمى والغَيِّ، وهو قادر على أنْ يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النُّور عن طريق تبليغه عنه.

والعقل بعد أنْ يعلم ذلك، لا يُسَلِّم لكلِّ مَن ادَّعى أنَّه رسولٌ من الله، بل يُطالبه بما يُثْبِتُ صحَّة دعواه وأنَّه لا يمثل نفسه، وإنَّما يمثل إرادة الله الَّذي أرسله، يطالبه بالآية المعجزة الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى.

والعقل هو الَّذي يميِّز بين الآيات المُعْجِزة الحقيقيَّة الَّتي لا تظهر إلَّا على أيدي رسل الله حقًّا، وبين مظاهر الخفَّة والشعوذة الَّتي تظهر على أيدي السحرة والدجَّالين.

والعقل هو الَّذي يعرف وجه دلالة المُعْجزة الخارقة على صدق من أظهرها الله على يديه، وأنَّها تصديقٌ من الله له في دعواه، فهي بمثابة قوله: «صدق عبدي فيما يبلِّغ عَنِّي». والله تعالى لا يُصَدِّق الكاذبَ؛ لأنَّ تصديق الكاذب كذب، والكذب محالٌ على الله تعالى. كلُّ هذه مقدِّمات عقليَّة محضة، ولولاها ما ثبت الوحي أصلًا، ولا قام الدِّين رأسًا.

والعقل ينظر في سيرة كلِّ شخص يَدَّعي الرسالة، ويتأمَّل في صفاته وأخلاقه، وأقواله وأعماله، ومدخله ومخرجه، ليعرف منها: هل هو أهل لاصطفاء الله أم ليس كذلك فيرفضه ويعرض عنه، ومن أجل ذلك احتكم القرآن في إثبات صدق رسالة محمَّد ﷺ إلى العقول المُنْكِرة وحدها،

QaradawiBooks.com

فقال في صرامةٍ ووضوحٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وقال يخاطبُ الرسول: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

ب ـ وترك للعقل في مجال التشريع أنْ يجولَ ويصول في فهم النصوص، فيفرِّع على الأصول، ويقيس على الفروع، ويستنبط الأحكام، ويكيِّف الوقائع، ويرعى القواعد في جلب المصالح، ودرء المفاسد ورفع الحَرَج، وتحقيق اليُسر، وتقدير الضرورات بقدرها، واعتبار العُرْف، ورعاية ظروف الزمان والمكان.

ولا عجب بعد أنْ اختلفت المشارب، وتعدَّدت المذاهب، وتنوَّعت الأقوال، وخلَّف لنا العقل الإسلامي في ضوء الوحي، ثروة فقهيَّة طائلة، لها مكانها الرفيع في تراث الفقه العالمي.

جـ ـ وترك للعقل في ميدان الأخلاق أنْ يُصْدِرَ حُكْمَه وفتواه في كثير من الأعمال، الَّتي يلتبس فيها الخير بالشرِّ، ويشتبه الحلال بالحرام، ولم يغفل شأنه ـ بجانب الوحي ـ كمصدر للإلزام الأدبي، ومقياس للحكم الخُلُقي.

ولا أجد مَن وضَّح هذه النقطة مثل أستاذنا العلامة الشيخ الدكتور محمَّد عبد الله دراز في رسالته القيِّمة «كلمات في مبادئ علم الأخلاق»، قال: «يفخر الحكماءُ بأنَّهم اكتشفوا للإلزام الأدبي مصدرًا آخر، غير الوحي السماوي، ذلك هو النور العقلي، أو الإحساس الأخلاقي، الَّذي ينطوي عليه كل قلب إنساني. ألا فليعلموا أنَّهم لم يأتوا بجديد غريب

QaradawiBooks.com

عن الإسلام؛ فالقانون الإسلامي في رجوعه إلى العقل السليم والوجدان النبيل، يرجع إليهما لا باعتبار أنَّهما شهيدان له فحسْب، يؤيِّدان حكمه ويشفعان له عند المخاطبين كما بيَّنَّا آنفًا، بل إنَّه يُقَلِّدهما مقاليدَ الحكم، ويخوِّلهما حقَّ الأمر والنهي في أطوار ثلاثة: قبل ورود الشرع، وأثناء نزول الشرع، وبعد انتهائه وتمامه.

أمَّا قبل الشرع، فإنَّ القرآن يقرِّر في أصرح عبارة أنَّ النفوس كلَّها قد مُنحت بفطرتها قوَّة التمييز بين الخير والشرِّ، والعدل والظلم، والتقوى والفجور: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]. ثمَّ لا يكتفي بأنْ يجعل هذه البصيرة قوَّة كاشفة معرِّفة، بل يجعلها آمرةً ناهية، وينعى على مَن يخالفها بأنَّه من أهل الضلال والطغيان: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور: ٣٢]. هذه القضيَّة المنفصلة لا تدعُ مجالًا للشكِّ في وجوب الخضوع لأوامر الأحلام والعقول، ومتى اتَّضح أمامها طريق الحقِّ والخير. وكذلك يقول صاحب الرسالة الباهرة صلوات الله عليه: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا، جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه**»[1].

إنَّ الإسلام يُقَرِّر للعقل سلطانًا أدبيًّا بالمعنى الإنساني الَّذي شرحناه آنفًا. وهو المعنى الَّذي زعم علماء أوربا أنَّهم اكتشفوه في المذاهب الفلسفية خاصة. هذا السلطان الأدبي الَّذي يسمِّيه الفلاسفة «سلطان الضمير»، يعترف الإسلام به على استقلاله وكماله في الفترة الَّتي تسبق قيام الشريعة ووصولها إلى مَن وجِّهت إليه.

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٨٨٧: رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أم سلمة، وإسناده جيِّد. ورواه ابن بطة في الإبانة (١٧٢٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٤/٢)، من كلام ابن سيرين.

QaradawiBooks.com

يبقى البحث في نظرة الإسلام إلى هذا السلطان العقلي، أثناء نزول الشريعة السماويَّة وبعد تمامها: هل متى نزلت الشريعة وبلغت أهلها أصبح أمرها ناسخًا لأحكام العقل وأوامره، كما يَبطل التيمُّم بحضور الماء؟

كلا! إنَّ النور لا ينسخ النور، ولكنَّه:

إمَّا: أن يُؤَكِّده ويؤيِّده.

وإمَّا: أن يُغذِّيه ويُرْفِده.

وإمَّا: أن يُكمِّله ويَزيده.

وتفصيل ذلك أنَّ شؤون الإنسان على ثلاثة أضرُب:

منها: ما للعقل فيه مجال واضح، وحكم حاسم. وهو الأصول الَّتي لا تتعارض فيها الأنظار ولا يختلف فيها اثنان، كحُسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضارِّ، ونبل الإحسان في ردِّ الإساءَة، ولؤم الإساءَة في جزاء الإحسان، فيجيءُ الشرع في هذه المواضع مقرِّرًا لحكم الفطرة ومؤكدًا.

ومنها: ما للعقل فيه نورٌ ضئيلٌ تغشاه الظلال، وتخالطه الأوهام، وهو مواضع الشبهات العقليَّة؛ كالخمر والربا، والصدق الضارِّ، والكذب النافع، واستبقاء الحياة المُعَذَّبة مع اليأس، والتضحية بها في سبيل الواجب مع القدرة على حفظها... فمنها يجيءُ الشرع إمدادًا لنور العقل، بترجيح جانب الحكمة والرشد فيه، وتصحيح أخطاء الوهم الَّتي تخالطه وتغشاه.

ومنها: ما لا مدخل للعقول فيه بإطلاق، كتفصيل أنواع العبادات وكيفيتها ومقاديرها؛ فيكون ورودُ الوحي بها مكمِّلًا لما فات العقل إدراكه، ماحيًا للظلمة الَّتي تركها وراء حدوده. وهكذا يكون للفطريين

QaradawiBooks.com

الَّذين لا يتَّبِعون إلَّا شـــريعة العقل، نور واحد، ويكون لأتباع الشـــرائع السماويَّة نوران اثنان، كما قال سبحانه: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

ولا تحسبنَّ أنَّ نور الشريعة فيما لم يهتد إليه العقل بمفرده قد أصبح مســـتغنيًا عن نور الفطرة جملة، كلَّا، فإنَّه لا يزال في أشـــدِّ الحاجة إلى رفده وعضده، من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ الشرع لا يزال يستند إليه عند مطالبته للمؤمنين بأداء واجباتهم الشـــرعيَّة، لا باعتبار أنَّها أوامر إلٰهيَّة فحسْب، بل باعتبار أنَّها أصبحـــت أوامر أخلاقيَّة بعد أن ســـبق تَعَهُّدهـــم بها تَعَهُّـــدًا كليًّا عامًّا، بمقتضى عقد الإيمان الَّذي ينطوي على التزام السمع والطاعة. ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ [المائدة: ٧]، وقوله: ﴿وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨].

الوجه الثاني: أنَّ أوامر الشـــريعة في معظم شـــأنها أوامر عامَّة كلِّيَّة، يكل الشرع تفصيلها وتحديدها إلى تقدير الوجدان الخلقي، الَّذي أودعه الله فـــي كلِّ نفس، وفـــي كلِّ جماعة بَشـــريَّة، وكثيرًا ما يصـــرِّح القرآن بتفويض هذا الوجدان الشخصي أو الجماعي في تحديد مقادير الحقوق والواجبـــات وأســـاليبها: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقـــرة: ٢٨٢]، ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿مَّتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

الوجه الثالث، وهو أعمُّ وأدقُّ: أنَّ الإسلام لا يطلب، ولا يرضى، أن تُنَفَّذَ أوامرُه تنفيذًا آليًّا، خضوعًا لصَوْلة حُكْمه، بل لا بدَّ قبل كلِّ شيء أنْ تسري أوامره إلى أعماق الضمير، حتَّى يتشـــرَّبها القلب، ثمَّ تَفِيض عنه بعد أنْ تكون قد تحوَّلت فيه إلى أوامر ذاتيَّة انبعاثيَّة. ذلك أنَّ أول خطوة

QaradawiBooks.com

في امتثال الواجب هي الإيمان بوجوبه وعدالته، والخطوة الَّتي تليها هي أنْ يُحمل هذا الإلـــزام إلى النفس على كفِّ الضمير، مشـــفوعًا بصوت منبعث من أعماقه، يناديها: «أيَّتها النَّفْـــس، إنَّ الله يأمرك أنْ تفعلي، وأنا آمرك أنْ تطيعي أمره، فإنَّه حقٌّ وعدل، وإنَّه لا خيرة لكِ في ردِّه». فإن لم ينبعث من الأعماق هذا التبليغ، ولم يرتفع فيها هذا الصوت السماوي، كان العمل كُلُّه هباءً عند الله، وفي نظر قانون الأخلاق.

القلب ـ أو الضمير ـ إذن هو بريد الشرع، الَّذي لا سبيل إلى الامتثال إلَّا عن طريقه. وكفى بهذا رفعًا لمكانته في غضون أحكام الشريعة.

وبعد، فإنَّ الشريعة نفســـها، بعد أن بيَّنت الحلال الصريح والحرام الصريح، تركت المنطقة الَّتي تختلط فيها الأوصاف، ويشتبه فيها الحكم وفوَّضت لكلِّ امرئٍ أنْ يســـتفتي فيها قلبه، ويتحرَّى فيها طمأنينة نفسه، أخذًا بالأحوط والأســـلم. هكذا قضى الرســـول الحكيـــم حيث يقول: «**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينَهما أمورٌ مُشْتَبِهات، لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس، فمَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لعِرْضه ودِينِه**»[(١)].

ويقول: «**استفتِ قلبَكَ، واستفتِ نَفْسَكَ، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النَّفْس، واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثـــم ما حاك في النَّفْسِ وتردَّدَ فـــي الصَّدْرِ، وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأفتَوْكَ**»[(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المســـاقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسَّن إســـناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسَّـــنه النووي في الأربعين، الحديث (٢٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حســـن لغيره. عن وابصة بن معبد.

QaradawiBooks.com

وأخيرًا، فإنَّ سلطان الضمير في نَفْس الإنسان لا يقف عند هذا الحدِّ، ولا ينتهي بانتهاء هذه الحياة، بل إنَّ له دورًا هامًّا عند المحاسبة في دار الجزاء، حيث يتقدَّم بين يدي فَصْلِ القضاء، ويُصْدِرُ حُكْمَه على صاحبه قبل أنْ يَصْدُر عليه الحكمُ الأعلى. اقرأ إنْ شئتَ قولَه تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]»[(١)] اهـ.

د ـ ثمَّ تـــرك الوحي للعقل بعد ذلك أنْ يجـــول في آفاق هذا الكون العريض ما شـــاء، صاعدًا إلى الأفلاك وهابطًا إلى الأرض، ومتأمِّلًا في النفس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

ترك له أنْ يكتشف من ظواهر هذا الكون ما استطاع، وأن يُسَخِّر من قُواه ما قدر عليه، فكلُّ ما فيه سخَّره الله لمنفعته: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤].

هـ ـ ترك له أنْ يبتكر ويخترع في وسائل الحياة وأمور الدُّنيا ما شاء، ما دام ملتزمًا حدود الحـــقِّ والعدل: «**أنتم أعْلَمُ بأمـــر دنياكم**»[(٢)]. ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) كلمات في مبادئ علم الأخـــلاق للدكتور محمد عبد الله دراز صـ ٣٠، ٣٤، نشـــر المطبعة العالمية، القاهرة، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

و ـ ترك للعقل أنْ يستفيد من تجارب الآخرين، وينتفع بتراث السابقين، ومعارف اللاحقين: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧]. «**طلبُ العلمِ فريضة على كلِّ مُسْلِمٍ**»[(١)]، «**الحكمة ضالَّةُ المؤمن، أنَّى وجدَها فهو أحقُّ بها**»[(٢)]، وفي الحِكَم: «اطلُب العلمَ ولو بالصينِ».

قال الطالب:

ما أجملَ وأروعَ ما قلتَ يا أستاذ! ولكنَّ في نفسي شيئًا لم يزل يَحِيكُ فيها: ألم يُكرِّم الله الإنسانَ بالعقل؟ فلماذا لم يدَع له المجالَ ليبحث عن الحقِّ، ويهتدي إليه بنفسه؟

قال الأستاذ، وكأنَّه غضب لهذا السؤال: لقد عدتَ إلى سؤالك القديم من جديد في صيغة أخرى.

بلَى، إنَّه تعالى كرَّم الإنسان بالعقل، وفرض عليه أن ينظر ويتفكَّر في نفسه، وفي السماوات والأرض من حوله. كيف لا، وكتابه الكريم يقول:

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، عن أنس.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦)، عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الروم: ٨]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

وهو الَّذي يختم كثيرًا من آياته بمثل هذه الفواصل: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

ولكنَّ الحقَّ سبحانه ـ بحكمته ورحمته ـ لم يدَع عقل الإنسان وَحْدَه، فيما يصعب عليه أن يعرفه أو يحسم فيه برأيٍ قاطعٍ وقولٍ جامع.

إنَّ الحقَّ المُطْلَق يا بُنَيَّ، لا يمكن معرفته عن طريق العقل وَحْدَه، بمعزل عن هداية الله؛ لأنَّ العقل محدود بحدود زمانه وبيئته ومدى ذكائه، ومبلغ ثقافته.

كما أنَّ عقول النَّاس تختلف باختلاف الأعصار والأمصار، وكم من أمرٍ يُعَدُّ فضيلة لدى أُمَّة هو من أرذل الرذائل لدى غيرها. وكم أمرٍ يَعُدُّه عصرٌ من الأعصار حقًّا صُرَاحًا، يجيءُ عصرٌ فيعتبره باطلًا صرفًا.

بل إنَّ عقل الشخص الواحد ليختلف باختلاف أطوار عمره وتغيُّر تجاربه، وتقلُّب الأحوال الطارئة عليه.

هناك بعد ذلك كله الأهواء والميول والنزعات الشخصيَّة والأسريَّة والإقليمية والقوميَّة، الَّتي تغلب على عقل الإنسان، واعيًا حينًا، وغير

QaradawiBooks.com

واعٍ أحيانًا، وتؤثِّر في حكمه على الأشياء والأشخاص والأعمال والقيم، شاء أم أبى.

فأين العقل الإنساني الَّذي يُعرف منه الحقُّ المُجَرَّد؟ عقلُ أيِّ فرد أو أيِّ جماعة؟ وفي أيِّ بلد أو أيِّ عصر؟! ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

لنضرب مثلًا بفلاسفة الأخلاق، وما اتَّخذوا من مقياس لفلسفتهم الخُلُقيَّة، كيف اختلفوا وتناقضوا؟

فمنهم مَن جعل مقياسه اللذَّة.

ومنهم مَن ذهب إلى المنفعة.

ومنهم مَن آمن بالواجب.

ومنهم مَن اتَّجه إلى القوَّة.

ومنهم مَن غالى في العقل.

ومنهم مَن تطرَّف في العاطفة.

ومنهم مَن آمن بالمادَّة وحْدَها.

ومنهم مَن كفر إلَّا بالرُّوح.

ومنهم مَن قدَّس حُرِّيَّة الفرد.

ومنهم مَن قدَّس مصلحة المجتمع.

ومنهم مَن اهتمَّ بالواقع.

ومنهم مَن جنح إلى المِثَاليَّة.

QaradawiBooks.com

فهل يمكن أنْ يخرج الإنسان من أمواج هذه الفلسفات المتعارضة، وعباب هذه المذاهب المتناقضة، إلَّا بالشك والبلبلة والحيرة الَّتي وصفها أحد المتفلسفين قديمًا فقال وأحسن:

لقد طُفْتُ في تلك المَعَاهِدِ كُلِّها وسَرَّحْتُ طَرْفِي بينَ تِلْكَ المَعَالِمِ
فلم أرَ إلَّا واضعًا كفَّ حائرٍ على ذَقْنٍ، أو قارعًا سنَّ نَادِمِ[1]

إنَّ العقل وحده إذنْ لا يكفي في هداية الإنسان إلى الحقِّ، فلا بدَّ له من مُعين يأخذ بيده، ويخرجه من المتاهات، وهذه مهمَّة النبُوَّة. ومن هنا كانت رسالات الله وكتبه تترى وتتلاحق لهداية البَشر: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٧]، ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ [فاطر: ٢٤]. قد يكفي العقل في الاهتداء إلى الفروع والتطبيقات والوسائل. أمَّا الوصول والمبادئ والغايات، فلا بدَّ فيها من كلمة السماء، تُؤخذ من كتبِ السماء.

ولا تنسَ أنَّ العقل هنا هو الَّذي يفهم وحي الله وكتبه، ويراقب تنفيذها، والاستقامة عليها، أو الانحراف عنها، فدوره هنا لا يُنكر.

ولكن المصدر الَّذي يؤخذ منه الحقُّ بأمانٍ واطمئنانٍ لا بدَّ أن يكون سماويًّا إلٰهيًّا.

قال الطالب:

سلَّمتُ بما تقول في الأمور النظريَّة والعقائديَّة، ولكنْ هناك أمورٌ عمليَّة تتعلَّق بحياة البَشر، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وفي استطاعتهم أنْ يعرفوا وجه الحقِّ والسداد فيها بمحاولاتهم وتجاربهم البَشريَّة، فلماذا قيَّدهم الوحيُ الإلٰهيُّ بنصوص تشريعيَّة تُفرض عليهم من فوقهم، ولا تنبعث من داخلهم؟

(١) نسبهما لابن سينا الصفدي في الوافي بالوفيات (٢٥٣/١٢)، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

نعم، هناك أمور عمليَّة قد يهتدي الإنسان فيها إلى الحقِّ بالمحاولة والتجربة الَّتي تكشف له أخطاءه، وتميط اللثامَ عن جوانب كانت خافية عليه، غشاها الجهل أو الغفلة أو الهوى. ولكن الإنسانيَّة ـ حتَّى تصل إلى هذه النتيجة ـ تكون قد ضحَّت بأجيال لا حصر لها، تهلك وتذهب ضحيَّة لمن يأتي بعدها، ولا تكسب هي شيئًا. أفليس الأوفق بحكمة العليم الحكيم، ورحمة الرحمٰن الرحيم، الَّذي أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، والَّذي يعلم المُفْسِد من المصلح، أن يريح عباده من عناء التجربة في أهمِّ أمور حياتهم، بما ينظِّم علاقاتهم، ويحفظ عليهم دينهم ودنياهم، ويصون دماءهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم وأخلاقهم؟ ألَسْنا نرى أنَّ من واجب الأب الَّذي صقلته التجربة، وعلَّمته الحياة، وأدَّبه الليل والنهار، أن يعطي أبناءه خلاصة تجربته، وثمرة معرفته بالحياة والأحياء؟ أوَليس الله جلَّ شأنه أبرَّ بالناس من آبائهم، بل من أنفسهم؟ فلماذا ننكر عليه سبحانه أن يُعلِّم عبادَه ما لم يكونوا يعلمونه إلَّا بعد تجارب مريرة، ينفقون فيها الغالي الكثير، في قرون يعلم الله كم يكون عددها، وماذا تكون نتيجتها. على أنَّ الإنسان قد يهتدي بالتجربة إلى معرفة الحقِّ في أمر مَّا، كأن يعرف بالتجربة مثلًا أضرار التعامل بالربا، أو شرب الخمر، أو لعب الميسر، أو إطلاق العنان للغريزة الجنسية، أو حرمان الإناث من الميراث، أو اتِّخاذ الأدعياء أبناء «نظام التبنِّي»، أو تفضيل صاحب البَشَرة البيضاء على صاحب البَشرة السوداء أو السمراء (التمييز العنصري)، إلخ. ومع ذلك قد لا يجد الإنسان الشجاعة الكافية الَّتي تلزمه باتِّباع الحقِّ في هذه القضايا بنصوص تشريعيَّة مُلْزمة، يتقيَّد المجتمع بها ولا يتعدَّى

QaradawiBooks.com

حدودها. وتقوم عقبات شتَّى دون ذلك، كأن تكون السُّلطة التشريعيَّة في أيدي طبقات يهمُّها مثلًا بقاء الربا أو الخمر أو الميسر إلخ؛ لأنَّها تكسب وتنتفع مباشرة من جرَّاء ذلك، أو لأنَّها تتملق مَن ينتفعون بذلك، أو لأنَّها تسارع في أهواء الجماهير الغافلة وتسترضيها ولو بما يَضرُّها ويُدمِّرها. فهي مع هذه الجماهير كالتاجر مع عملائه، همُّه أن يجلب لهم كلَّ ما يشتهون ما دام يُدِرُّ عليه ربحًا. دون النظر إلى مضرَّته عليهم أو عدمها. لا كالطبيب الناصح الَّذي يمنع مريضه من أحبِّ الأشياء إليه إذا كان فيه ما يؤذيه، أو يؤخِّر عليه حلول العافية.

وهناك مثالان واضحان يدلَّان على ما نقول:

أمَّا أولهما: فإنَّ الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة قد اقتنع أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ فيها في مرحلة من تاريخها الحديث بمساوئ الخمر وما تجلبه من كوارث وأضرار مادِّيَّة وأدبيَّة بالأُمَّة، فقرَّروا تحريمها بقانون، وصدر القانون فعلًا، وأنفقت عشرات الملايين من الدولارات في الدعاية لقانون التحريم، ولكن أهواء المدمنين، ومصالح المنتفعين بإباحة الخمور من زُرَّاع وصُنَّاع وتُجَّار، غلبت على حكمة العقلاء الَّذين نادوا بالتحريم، وكان الإفلاس والفشل، وإلغاء قانون التحريم، لا اقتناعًا بفائدةِ أُمِّ الخبائث، بل عجزًا واستخذاءً أمام الرغبات الجامحة والأهواء المُضِلَّة عن سواء السبيل.

وأمَّا المَثَل الثاني: ففي روسيا، وذلك أنَّ النظريَّة الشيوعيَّة تحرِّم «الربا» والتعامل به. ومع هذا فشلت روسيا الشيوعيَّة في احترام هذا المبدأ والتزامه، وأباحت لرعاياها في الداخل إيداع الأموال بالربا. كما أباحت ـ بالنسبة للعلاقات الخارجيَّة ـ إقراض الآخرين بالربا.

QaradawiBooks.com

إنّ الضعف الإنساني كثيرًا ما يحول بين الإنسان وبين انتفاعه بتجاربه، لهذا كان في حاجة إلى سُلطة عُليا تلزمه بما يعجز هو عن إلزام نفسه به. ولن تكون هذه السُّلطة إلَّا سُلطة ربِّ النَّاس، ملك النَّاس، إلٰه النَّاس. لهذا كان لا بدَّ من الرجوع إلى كلمة السماء ورسالة السماء. ولا يُترك العقل وحده في هذا المَيْدان.

قال الطالب:

جزاك الله خيرًا. لقد اطمأنَّ قلبي، وازددتُ إيمانًا مع إيماني! ولكنِّي سمعتك تتحدَّث كثيرًا عن كتب الله ورسالات السماء، فهل أفهم من ذلك أنَّ كلَّ هذه الرسالات سواء؟! وأنَّنا نستطيعُ أنْ نأخذ الحقَّ من أسفار العهد القديم (التوراة وملحقاتها)، وأسفار العهد الجديد (الأناجيل الأربعة)، كما نأخذه من القرآن؟!

قال الأستاذ:

إنَّ رسالات الله واحدة في أصولها، فكلُّها يدعو إلى توحيد الله، وتزكية النفس، وإقامة العدل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن هنا قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

QaradawiBooks.com

وقد أثنى القرآن على كتب الله جميعًا، وجعل الإيمان بها جزءًا من إيمان المسلم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال في شأن الإنجيل: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

غير أنَّ هذه الكتب لمَّا كانت منزَّلة لفترة خاصَّة من الزمن، ولمجموعة خاصَّة من البَشر، ولبيئة محدودة من الأرض، لم يضمن الله البقاء والحفظ لها، كما ضمن ذلك للقرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فلا عجب أن هبَّت عليها عواصف التحريف أو النسيان أو الضياع... حتَّى أصبحنا نقرأ عن أنبياء الله ورسله في تلك الأسفار أنَّهم ارتكبوا الموبقات، وزنوا وشربوا الخمور. بل نقرأ عن الله تعالى شأنه، فلا نجده إلَّا إلٰهًا يصارعه الإنسان، فيُصرع، إلٰهًا يُصلب ابنه على مرأى منه ولا يصنع شيئًا، أو هو ـ كما قال أحد الغربيِّين ـ إلٰه انهزم أمام خبث الإنسان!

بل إنَّنا نبحث عن الإنجيل الَّذي أنزله الله على المسيح عيسى فلا نعثر عليه، وإنَّما نجد سِيَرًا كتبها بعده تلاميذه، أو تلاميذ تلاميذه، متضمنة بعض أقواله. ومع هذا فهناك حلقات مفقودة في أسانيد وصولها إلى النَّاس بعد تأليفها، بحيث لا يُعرف أصلها العبري، ولا مَن ترجمها

QaradawiBooks.com

ولا كيف ترجمها! ومع أنَّ الأناجيل الأربعة المعترف بها الآن لدى المسيحيِّين انتخبت من بين عشرات الأناجيل الأخرى الَّتي رفضت الكنيسة أنْ تعترف بها، والَّتي لا يزال في بعضها البشارة الصريحة بالرسول محمَّد كما في إنجيل «برنابا». أقول: مع ذلك كلِّه فلم يزل في الأناجيل الرسميَّة الكثير من التعارض والاختلاف والخلل والاضطراب.

لا أجحد أنَّ في هذه الكتب بقايا من الحقِّ، بَيْد أنَّه مشوبٌ بكثير من الباطل الَّذي يطمس معالمه، ويضيع النفع والاهتداء به.

قال الفتى معجبًا: فما المرجع المضمون إذن لمعرفة الحقِّ والاهتداء به؟!

قال الأستاذ:

ليس يا بُنَيَّ في الوجود كلِّه إلَّا مرجع سماوي واحد مضمون مائة في المائة، ذلك هو القرآن الكريم. إنَّه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

إنَّه الكتاب الَّذي تحدَّى البَشر أن يأتوا بمثله أو بعشر سُوَر منه أو بسورةٍ مثله، فغُلبوا وانقطعوا وحقَّت عليهم كلمةُ الله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

إنَّه الكتاب الَّذي سلم من التحريف والتبديل والنسيان، لم يزل منذ أنزله الله محفوظًا في الصدور متلوًّا بالألسنة، مكتوبًا في المصاحف، يحفظه الألوف وعشرات الألوف من رجال المسلمين ونسائهم، بل من صبيانهم وفتياتهم.

QaradawiBooks.com

لا يستطيع أحد أنْ يُغيِّر منه آية أو يُعدِّل منه كلمة أو حرفًا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

هذا الكتاب هو المصدر الفذُّ لمعرفة الحقِّ، كما يريده الله، وكما يجب لخلقه أن يعرفوه ويَتَّبِعوه: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

إنَّ الحقَّ ـ في أجمل صوره وأعمق معانيه ـ يتجلَّى في هذا الكتاب الإلٰهي، الَّذي أودع الله فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا. وضمَّنه من جواهر الحِكَم، وجوامع الكَلِم، وروائع العِبَر، ودقائق المعاني، وأسرار التشريع، وحقائق الوجود، وآيات البيان، وبيِّنات الهدى والفرقان، ما ينير العقولُ، ويَشفي الصدور، ويُزَكِّي الأنفس، ويصلح الحياة، ويهدي الأفراد والجماعات إلى أقوم سبيل.

لقد أبصر الحقَّ الناصع في هذا الكتاب وشهد به كُلُّ ذي فطرة سليمة من الدَّنَس، وكلُّ ذي بصيرة بَرِئَتْ من العمى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

شهد بحقيِّة هذا الكتاب أولو العلم والإنصاف من أهل الكتاب، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

QaradawiBooks.com

شـــهد بحَقِّيَّتِه النصارى الَّذين حدَّث الله عنهم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٣، ٨٤].

بل شـــهد بحَقِّيَّته الجنُّ الَّذين استمعوه فـ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

بل شهد بحقِّيَّته المشركون أنفسهم ـ رغم عنادهم وكفرهم به وبمن أنزل عليه ـ فقالوا: إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجنِّ، وإنَّه يعلو ولا يُعلى عليه[1].

هذا القرآن حقٌّ؛ لأنَّـــه كلامُ اللهِ الحـــقِّ، وهو حقٌّ؛ لأنَّـــه خالدٌ باقٍ لا يزولُ ولا يتبدَّل.

وهو حقٌّ؛ لأنَّـــه يهدي إلى الحقِّ المُطْلَق، البـــريء من قصور العقل الإنساني، وانحراف الهوى البَشري.

هو يهدي إلى الحقِّ؛ لأنَّه يهدي إلى الله وإلى صراطٍ مستقيم.

وهو يهدي إلى الحقِّ؛ لأنَّه يهدي إلى الحقائق الثابتة الَّتي تَحُلُّ ألغازَ الوجود، وتُبَيِّن للإنسان مبدأه ومصيرَه.

وهو يهدي إلى الحقِّ؛ لأنَّه يهدي إلى أفضل الغايات وأقوم السبل.

(١) القائل هو الوليد بن المغيرة، رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢) وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٢٤، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وهو يهدي إلى الحــقِّ؛ لأنَّه يهدي إلـــى القِيَم الخالـــدة والفضائل الأصيلة، الَّتي تستقرُّ بها الحياة، وتُنظَّمُ بها المعاملة، ويستقيمُ بها ميزان الخُلُق والسلوك.

وهو يهدي إلى الحقِّ؛ لأنَّه يهدي إلى العدل فيما للإنسان على غيره، وفيما عليه لغيره، دون غُلُوٍّ ولا تقصير، فلا يضغط على الفرد لحســاب المجتمع، ولا يطغى على المجتمع لمصلحة الفرد، ولا يظلم الرُّوح من أجل شهوات الجســد، ولا يُعَذِّب الجسم طلبًا لأشــواق الرُّوح، فللبدنِ حقٌّ، وللعقل حقٌّ، وللرُّوح حقٌّ، وللرجل حقٌّ، وللمرأة حقٌّ، وللمجتمع حقٌّ، ولله قبل ذلك كلِّه حــقٌّ. وصدق الله العظيم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

هذا الكتاب هو كلمة الله الأخيرة للبَشــر، فليس بعده كتاب، كما أنَّ الرسول المنزَّل عليه ليس من بعده رســول؛ لهذا أودعه الله من الأسرار والمزايا ما يكفل له الخلود والدوام:

(أ) أودعه الوضوح والتيســير، فهو كتابٌ مُبِين، ولهذا سمَّاه الله نورًا وهدًى، وهو مُيسَّر للذكر، يسهل على مَن قرأه أن يَعِيَه ويحفظه، ويسهل على مَن تلاه أو ســمعه أن يفهمه، كلٌّ بقدرِ ما آتاه الله من فهمٍ ومعرفة. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

(ب) كما أودعه الله قوَّة التأثير بما فيه من ســرِّ الإعجاز الإلٰهي، فله سلطان على العقول والقلوب، بما في أحكامه من عدل، وما في أخباره من صدق، وما في معانيه ونظمه من روعة بالغة، وما في آياته من وعدٍ ووعيــدٍ وتبشــيرٍ وإنــذار: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا

QaradawiBooks.com

مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

(جـ) وميَّزه اللهُ بالشمول، فأودع فيه قواعدَ العدالة للفرد والأسرة، والمجتمع والإنسانيَّة، وأصول الهداية لسعادة الدُّنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

(د) وفوق ذلك فإنَّ الله تولَّى حفظه من الضياع والنسيان والتحريف فهيَّأ له من أسباب البقاء ما لم يهيِّئْه لكتابٍ قبله، ليبقى حُجَّةً لله على عباده ما تعاقب الليل والنهار: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال الطالب:

ولكن كيف يمكن لكتابٍ واحدٍ أن يشتمل على تبيانِ كلِّ شيءٍ وهو لا يزيد على مئات من الصفحات؟

قال الشيخ:

هذا سرُّ الألوهيَّة يا بُنَيَّ، ومع هذا لم أقُلْ: إنَّه اشتمل على تبيان الفروع والجزئيَّات والتفصيلات، فهذه قد تُرك بعضها للرسول يبيِّنه بقوله وعمله وهَدْيه، وبعضها الآخر تُرِك لاجتهاد المجتهدين في ضوء النصوص والقواعد العامَّة وما تقتضيه المصلحة المتغيِّرة بتغيُّر الأماكن والأزمان والأحوال.

إنَّما قلتُ: إنَّه اشتمل على أصول الهداية الَّتي تُحَدِّد الهدف وتُنِير السبيل، في علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بالحياة وعلاقته بالآخرين.

QaradawiBooks.com

علاقته بالفرد وبالأسرة وبالمجتمع وبالحكومة وعلاقة المجتمعات بعضها ببعض.

وحَسْبُك أنْ تقرأ هذه الآيات، فستجدها مصابيح هادية تنير ظلمات كثيرة، وتَحُلُّ عُقَدًا شَتَّى: في العلاقة بالله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي العلاقة بالكون: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وفي العلاقة بالحياة وطيِّباتها: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

QaradawiBooks.com

وفي علاقة الرجل بالمرأة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وفي علاقة الأغنياء بالفقراء: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وفي علاقة الحاكم بالمحكومين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

وفي علاقة الأُمَّة بغيرها من الأمم: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

قال الطالب لشيخه:

ما أبلغَ هذه الآياتِ! وما أروعها! وما أجمعها لأصول العدالة والفضيلة! ولكنِّي أُحِبُّ أن أسألَ:

إذا كان القرآن هو مصدر الحقِّ الأوحد، فما بال أهله ـ وأنا أعني المسلمين ـ قد ضلُّوا وتفرَّقوا وأصبحوا في مؤخِّرة الأمم علمًا وحضارةً

QaradawiBooks.com

وتقدُّمًا؟ وهل يعني اتِّباع الحقِّ أن يتأخَّر أهله عن القافلة، ويلفَّهم الضعف والخمول بردائه الأسود؟

قال الشيخ:

مهلًا يا بُنَيَّ، فإنَّما حلَّ بالمسلمين ما حلَّ، لانحرافهم عن الحقِّ الَّذي جاء به هذا الكتاب، وقد تجلَّى هذا الانحراف في عِدَّة مظاهر:

أوَّلها: أنَّهم أخذوا بعض هذا الكتاب وتركوا بعضه، وتلك من الرذائل الَّتي أنكرها القرآن على بني إسرائيل حيث قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]. ولهذا كان من وصيَّة الله لرسوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

ثانيها: أنَّهم قلَّدوا دينَهم رجالًا غير معصومين من الخطأ، ولَوَوْا أعناق آياتِ الكتاب لتوافق تفكيرهم، ونَسُوا أنَّ الكتاب أصلٌ يُرَدُّ إليه غيره، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

ثالثها: أنَّهم ظنُّوا بركة هذا الكتاب في تزيين الجدران بآياته أو بتلاوته على الموتى أو نحو ذلك، وجهلوا أو غفلوا أنَّ البركة إنَّما هي في اتِّباعه والعمل بتعاليمه كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

إنَّ تعاليم القرآن يجب أنْ تؤخذ جملةً، سواء منها ما يتعلَّق بالفرد أم بالمجتمع أم بالدولة. وقد روى المُفَسِّرون أنَّ بعض اليهود أسلم وأراد

QaradawiBooks.com

أن يحتفظ بشيءٍ من تعاليم اليهوديَّة، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ومعنى ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾: أي في الإسلام كله. قال الحافظ ابنُ كثير في تفسيره لهذه الآية: «يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين به، المُصَدِّقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عُرَا الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»[1].

هذا الكتاب كله ـ أو هذا الدِّين بجميع شعائره وشرائعه ـ «وصفة طبيَّة» متكاملة لا يجوز أخذ بعضها وإهمال بعضها، فإنَّها كلٌّ لا يتجزَّأ.

إنَّ هذا الكتاب يمنحنا نظامًا مستقلًّا للحياة، ذا صبغة خاصَّة ووجهة خاصَّة: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا ﴾ [المائدة: ٥٠].

فلا يجوز أن تُدخل في هذا الجهاز «قطعًا» أجنبيَّة دخيلة لا توائم تركيبه، ولا تلائم بقيَّة أجزائه. إنَّ ضررها وخطرها قد لا يظهر لأوَّل وهلة، ولكن سرعان ما يبدو خطرها على سلامة الجهاز كلِّه.

قال الطالب:

بعد هذا البيان الجامع منك، أرجو أن تأذن لي في سؤالٍ يُهِمُّني ويُهِمُّ الكثيرين!

(١) تفسير ابن كثير (٥٦٥/١)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

سَلْ.

قال الطالب:

لقد ذكرتَ أنَّ الله تعالى قد هيَّأ لنا سُبُلَ الهداية للحقِّ، فما بال أكثر النَّاس قد أعرضوا عنه، وضلُّوا عن سبيله ضلالًا بعيدًا، بل عادوه وحاربوا أهله؟ وهل لذلك من سبب نعرفه؟

قال الأستاذ:

الواقع أنَّ الإعراض عن الحقِّ، بل إعلان الحرب عليه واقع فعلًا، بل هو واقعٌ من أكثريَّة البَشَر، وهو أمرٌ مؤسِفٌ حقًّا.

وقد أكَّد القرآن هذه الحقيقة المؤلمة، الَّتي لا تُشَرِّف بني الإنسان أبدًا، وهي أنَّ أكثر النَّاس يكرهون الحقَّ، ممَّا يُفضي بهم إلى سخط الله وعذاب جهنَّم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۞ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۞ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۞ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ ـ ٧٨].

أمَّا لماذا يكره النَّاسَ الحقَّ، فذلك يرجع في نظري إلى سَبَبَيْنِ أساسيَّيْن:

السبب الأوَّل: هو جهل النَّاس بالحقِّ، وقديمًا قيل: «الناس أعداء ما جهلوا». «ومن جهل شيئًا عاداه». وقال القرآن: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

QaradawiBooks.com

والسبب الثاني: فهو اتِّباع الهوى؛ فإنَّ الهوى إلٰه معبود، ومَن جعل إلٰهه هواه فهيهات أنْ يذعن للحقِّ. ومن هنا قال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦]، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

قال الفتى:

ولكنَّ أعلامَ الحقِّ لائحة وسبيله واضحة، فما الَّذي جعلهم يجهلونه ولا يعرفونه؟

قال الشيخ:

إنَّما يأتي الجهل بالحقِّ من جملة أمور:

١ ـ منها الغفلة السادرة، الَّتي تجعل بعض النَّاس يعيش في الدُّنيا حيًّا كمَيِّت، وموجودًا كمفقود. معطَّل السمع والبصر والفؤاد، وهي الأدوات الَّتي وهبه الله إياها، ليستخدمها في معرفة الحقِّ، فبالسمع يروي علم غيره، وبالبصر يقرأ ويلاحظ ويُجَرِّب، وبالفؤاد يُرَتِّب المُقَدِّمات ويستخلص النتائج، ويُصَحِّح ما قد يخطئ فيه السمع والبصر.

لقد امتنَّ الله على الإنسان بهذه الأدوات الثلاث: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وحذَّر من إهمالها واتِّباع الإنسان ما ليس له به علم، والسعي وراء التقليد أو الظنِّ أو الوهم: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

QaradawiBooks.com

ولكنَّ هؤلاء باستغراقهم في الغفلة خرَّبوا هذه الأدوات الَّتي هي مفاتيح المعرفة للأوَّلين والآخرين. فلا عجب أن يكون مصير هؤلاء كما ذكر الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ويحكي اللهُ عن أصحاب النَّار في الآخرة: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

لقد كان لهم سمع وكانت لهم أبصار وكانت لهم عقول، ولكن الغُلُوَّ أدَّى بهم إلى الجحود المظلم، الَّذي جعلهم كأنَّهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

٢ ـ ومن أسباب الجهل بالحقِّ: التقليد الأعمى، تقليد الآباء والأجداد تارة، وتقليد الرؤساء والكبراء طورًا آخر. وكلا الأمْرَيْن مذموم، شدَّد الله النكير عليه في كتابه، وسخر من كل مَنْ جعل آباءه حُجَّة له في اتِّباع الجهل والضلال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وللأسف الشديد أنَّ هذا داءٌ قديم. فهذا نبيُّ الله هود يجادل قومه ليفهمهم، فماذا قالوا؟ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وحينما قال إبراهيم لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣].

QaradawiBooks.com

وقال فرعون وملؤه لموسى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ [يونس: ٧٨].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣، ٢٤].

وفي نهي القرآن عن تقليد الرؤساء وطاعة الكبراء يعرض لنا صورًا مُؤَثِّرة ومثيرة عن الكبراء وأذنابهم يوم القيامة، وكيف يتبرَّأ كلا الفريقين من الآخر. وقد تكرَّر هذا المشهد في عدَّة سُوَر من القرآن. ففي سورة البقرة: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦].

وفي سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وفي سورة الأحزاب: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۞ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

وفي سورة سبأ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

وفي سورة الصافَّات وسورة «صٓ» ذكر مثل هذا الحوار.

QaradawiBooks.com

إنَّ أشدَّ ما يطمس العقل البَشري هو التعصُّب الجامد المظلم، الَّذي يحبس صاحبه في قمقم القديم الَّذي كان عليه الآبـاء، أو الواقع الَّذي عليه الأكثريَّة أو الرؤساء.

إنَّ هذا التعصُّب يُعمي المرء ويُصِمُّه، ويجعل عقله كأنَّما هو منحوتٌ من حجارة صمَّاء.

ألم تر كيف فعل التعصُّب بكفرة مكَّة الَّذيـن قالوا في عناد غريب: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

ولو عقل القوم وأنصفوا لقالوا: اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فاهدِنا له، واجعلْنا من جنده وأنصـاره، ولكن تعصُّبهم للباطل أعماهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

ثُمَّ انظرْ كيف حكى القرآن عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

قال الطالب:

لقد تبيَّن لي الآن: لمـاذا يجهل النَّاس الحقَّ، مـع ما آتاهم الله من أدوات معرفته ووسائل الوصول إليه.

وبقي الآن أنْ أعرف السـرَّ في السـبب الآخر، الَّذي يجعل النَّاس يعرضون عن الحـقِّ ويكرهونه، مع علمهم بأنَّه حـقٌّ، ومع ما في اتِّباع الحقِّ من خير لهم في الدُّنيا والآخرة.

وأرجو ألَّا يضيق أستاذُنا بكثرة الأسئلة، فأنت الَّذي غرستَ فينا حبَّ المعرفةِ والاستقصاء، والموضوعُ جِدُّ خطير.

QaradawiBooks.com

قال الشيخ:

كلَّا، إنِّي مُنْشَرِح الصَّدْر بكلِّ ما تُوَجِّه من أسئلة تفتح آفاق الموضوع، وتتيح لي الردَّ على شبهات قد تحيك في الصدور. وقديمًا قال أحد العلماء وقد سئل: فيم لذَّتُك؟ قال: في حُجَّةٍ تتبختر اتِّضاحًا، وشبهة تتضاءل افتضاحًا. أمَّا السِّرُّ في كراهية النَّاس للحقِّ، فما أحسبُه أمرًا غامضًا على مِثْلِك:

إنَّ الحقَّ يَا بُنَيَّ مُرُّ المَذَاق، كثيرُ التكاليف، لما يلزمه غالبًا من مخالفة هوى النَّفْس وعادات المجتمع، ونزعات الخاصَّة وشهوات العامَّة.

ولهذا نجد أكثر النَّاس يكرهون الحقَّ، وإن لم يكن أكثرُهم يجهلونه.

وفي هذا يذكر القرآن عن مشركي مكَّة منكرًا ومعجبًا من موقفهم من دعوة الرسولِ ﷺ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۞ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٦٨ ـ ٧١].

لقد بيَّن القرآن العِلَّة الأولى في إعراضهم عن الدعوة، وما هي إلَّا أنَّه جاءهم بالحقِّ الَّذي يكرهه أكثرهم. الحقُّ الَّذي يُسَفِّه أحلامهم وهم عند أنفسهم أعقل العقلاء، ويعيب آلهتهم.

ثم هذا الحقُّ يفرض عليهم المساواة والعدل وقد تعوَّدوا التفرقة والبغي. ويحرِّم عليهم الشهوات الباغية وهم فيها غارقون. فلا عجب أن ينكروا هذا الحقَّ لأوَّل وهلةٍ مِنْ عرضه عليهم قبل أن يُمَحِّصوا ويتفكَّروا

QaradawiBooks.com

كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٧].

وهناك دوافع نفسيَّة كثيرة تدفع بأصحابها إلى مخالفة الحقِّ على علم. منهم مَن يخالفه ويكرهه أنفةً واستكبارًا أن يخضع لمن يَعُدُّه أدنى منه منزلةً أو أقلَّ مالًا ونفرًا، كمشركي مكَّة الَّذين حدَّث القرآن عنهم في موقفهم من رسول الله فقال: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٢٩ ـ ٣١].

ويريدون بالعظيم أن يكون ذا مالٍ وجاهٍ كالوليد بن المُغِيرة في مكَّة، وعُرْوة بن مسعودٍ الثَّقَفي في الطائف[1].

ومثل هؤلاء، فرعون وملؤه الَّذين استكبروا أن يؤمنوا بموسى وهو من بني إسرائيل الَّذين كانوا في خدمتهم: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٧].

وبعضهم يعاديه بغيًا وحسدًا لمن ظهر الحقُّ على يديه، كموقف اليهود من نبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ، الَّذين عرفوه من أوصافه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم. ثمَّ أَبَوْا أنْ يصدِّقوه: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وبعضهم يُعْرِضُ عنه انشغالًا بحظوظ نفْسِه، وشهوات حِسِّه، وترف عيشه، فلم يترك له اتِّباعُ الهوى فراغًا لاتِّباع الحقِّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].

---

(١) قاله قتادة، رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٨/٣)، تحقيق د. محمود محمد عبده، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

QaradawiBooks.com

وكلُّ ما ذكرتُ من هذه الدوافع والموانع الَّتي تصدُّ النَّاس عن الحقِّ مع تبيُّن معالمه ودلائله لهم، تدخل تحت هذا العنوان العريض: «اتِّباع الهوى» سواء أكان هوى النفس أو هوى الغير. بل نستطيع أن نجعل السبب الأوَّل داخلًا أيضًا تحت هذا العنوان، إذ الجهل بالحقِّ غالبًا ما يكون منشؤه اتِّباع هوى النَّفْس في الراحة والكسل عن طلب الحقِّ والسعي إليه. أو اتِّباع هوى الآباء والرؤساء، ومسايرة النَّاس فيما هم عليه، دون بذل جهدٍ لطلب الحقِّ، أو استعمال العقل الَّذي وهبه الله للإنسان، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ومن هنا حذَّر القرآن من ـ اتِّباع الهوى ـ وذمَّ أصحابِه أبلغ الذمِّ: ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال الطالب:

لقد فهمتُ من حديثك الشيء الكثير، كنت أحسب أنَّ هداية النَّاس إلى الحقِّ أمرٌ يسير قريب، ولكنِّي عرفتُ الآن أنَّه شيء عسير غير يسير، وأنَّ المعوقات عنه كثيرة، منها ما ينشأ عن الجهل، ومنها ما ينشأ عن الهوى، ولكنْ رُبَّما كان الأيسر على دعاة الحقِّ وهُدَاته أن يبدؤوا بالجاهلين به، فيُبَيِّنوه لهم ويُحَبِّبوه إليهم.

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

هذا حسن، ولكن يجب أنْ تعلم يا بُنَيَّ أنَّ الجاهلين صنفان:

• صنفٌ يدري من نفسه أنَّه ناقص العلم بالحقِّ، ويشعر أنَّه في حاجة إلى مَن يهديه ويأخذ بيده، وجهلُ هذا الصنف يُسَمَّى «الجهل البسيط».

• والصنف الثاني: يضع نفسه في صَفِّ العارفين، الَّذين عرفوا الحقَّ عن بيِّنة، فهو متمسِّكٌ بما هو عليه من باطل، مُتَوَهِّمًا أنَّه الحقُّ الصريح، وجَهْلُ هذا الصنف يُسَمَّى «الجهل المُرَكَّب»، وهذا الصنف يعسر عليك أن تعرِّفه بالحقِّ أو تزحزحه عن الباطل. وقد قال حكيمٌ عربيٌّ:

الناس أربعة: رجلٌ يدري ويدري أنَّه يَدْري، فهذا عالِمٌ فاتَّبعوه.

ورجلٌ يدري ولا يدري أنَّه يدري، فهذا نائمٌ فأيقظوه.

ورجلٌ لا يدري ويدري أنَّه لا يدري، فهذا مُسْتَرْشِدٌ فأرشدوه.

ورجلٌ لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري، فهذا ضالٌّ فارفضوه[1].

والغريب حقًّا، أنَّ أكثر الجاهلين من هذا الصنف الثاني، الَّذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١ ـ ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨٢٨)، تحقيق د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

QaradawiBooks.com

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ومن هذا الصنف ـ للأسف ـ كثير يُعَدُّون في الدُّنيا مُفكِّرين وبَاحثينَ وعلماء ومُؤَلِّفين، أو أدباء وفنَّانين.

قال الطالب:

إذا كان أمثال هؤلاء بعيدين عن الحقِّ، فما بالُ غيرهم؟ وما السبيل إذن للاهتداء إلى الحقِّ.

قال الأستاذ:

إنَّ أوَّل خطوة في هذا السبيل أن يعرف الإنسان قدر نفسه ومنزلته في هذا الوجود. فلا يدع نفسه فريسةً للغفلات والشهوات كبهيمة الأنعام، الَّتي تُقاد فتنقاد، لا تعرف غايةً ولا تهتدي سبيلًا.

كما لا يغالي بنفسه، فيرفعها فوق مكانتها، ويظنُّ نفسه مستغنيًا عن الله، الَّذي خلقه فسَّواه فعدله، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه.

إنَّ على الإنسان أن يدع الغفلة والشهوة والاستسلام لما هو فيه، فليس هو بهيمة.

وإنَّ على الإنسان أن يدع الغرورَ والكبرياء والعُجْب بما عنده من علمٍ أو رأيٍ فليس هو إلٰهًا.

وإنَّ عليه أن يعلم أنَّه ـ قبل كلِّ شيء ـ مخلوقٌ لله تعالى، غير أنَّه مخلوقٌ كريمٌ على الله، خلقه بيديه ونفخ فيه من رُوحه، وسخَّر له هذا الكون، وجعله خليفة في الأرض.

QaradawiBooks.com

فإذا عرف الإنسان قَدْر نفســه، دفعه ذلك إلى طلب الحقِّ، والبحث عنه، ومحاولة الاهتداء إليه. وهذه نقطة البداية، بل سبيل الهداية.

قال الطالب:

فإنَّنا نرى بعــضَ النَّاس يطلبــون الحقَّ، ويحاولــون الوصول إليه، ولكنَّهم لا يصلون إليه فما سرُّ ذلك؟

قال الأستاذ:

سرُّ ذلك يرجع إلى جملة أمور:

أولًا: إمَّا أنَّهم يعتمدون على الظنِّ في مقــامٍ لا يغني فيه إلَّا اليقين الجازم، وذلك كالعقائد والأصول الكُلِّيَّة. لا يجوز أن نعتمد على الظنِّ، فضلًا عن الشكِّ أو الوهم أو الافتراض الَّذي لا دليل عليه، كالَّذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧].

ثانيًا: وإمَّا أنَّهم يتأثَّرون بأهواء النَّفــس وعواطفها ونزواتها في أمور لا يجوز أن يحكم فيها إلَّا العقل والبرهان ومقرَّرات العلم القاطعة. وإنَّ كثيرًا من الأدباء والكُتَّاب والمفكِّرين لينتهون إلى آراء في النَّفس والحياة والكون هي في الواقع ترجمة لعُقد في نفوســهم أو رغبات مكبوتة في صدورهم. وربَّما كانت هــذه الآراء صورًا واضحة أو مُشَوَّشــة لأفكارٍ نَضَحها واقعُ أُسْــرَتِهم أو مجتمعهم عليهم، إيجابًا أو ســلبًا، فكانوا في الحقيقة منفعلين وهم يحســبون أنَّهم فاعلون، ومتأثِّرون، وهم يزعمون أنَّهم مؤثِّرون. ومن هنا قــال القرآن ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩].

QaradawiBooks.com

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦].

إنَّ اتِّباع الظنِّ في مقام اليقين، واتِّباع الهوى الخَفِيِّ في مقام الحُجَّة والبرهان، طالما أضـلَّ كثيرًا من النَّاس الَّذين يحسـبون أنَّهم مهتدون، وخاصَّة إذا اجتمع الظنُّ والهوى.

كما قال تعالى في عُبَّاد اللَّاتِ والعُـزَّى ومَنَاةَ الثالثةِ الأخرى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وممَّا يؤسف له أنَّ أكثريَّة البَشر قد سقطوا فريسةً لهذا الضَّلال البعيد، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

ثالثًا: وإمَّا أنَّهم يعتمدون على عقل الإنسان في مقام لا يحسم فيه إلَّا وحي الله، كمعرفة أصل الوجود ومبدأ الإنسـان ونهايته، ورسـالته في الحياة، وغايـة هذا الكون وأسـراره، وأصول العدالـة والفضيلة، فهذه الأمور وما إليها يَعْجِز العقل عن إدراكها والوصول فيها إلى قرار قاطع؛ لأنَّها أعلى من مسـتوى إدراكه، وأوسـع من مجال بحثـه، وأبعد عن اختصاصه ووسـائله في المعرفة، وكلُّ ما يصل إليـه فيها أخبارٌ تحتمل الصدق والكذب، ودعاوى تقبل التسـليم والرفض، وأفكار وآراء تتَّسع للصـواب والخطأ، وآراء تناقضهـا آراء أُخرى، مثلهـا أو أقوى منها أو أضعف، ولكنَّها على كلِّ حالٍ غير معصومة.

QaradawiBooks.com

وهذا شأن أولئك الَّذين حاولوا أن يُفَسِّروا الوجود، أو يضعوا فلسفة شـــاملة للحياة والتاريخ، أو يخطُّوا للبَشـــر مصيرهم كأنَّما هم خلق من خلقهم، هم به أعلم، وعليه أقدر، وهيهات هيهات لما يدَّعون.

إنَّ منهم مَن أنكر وجود الإلٰه، ولكنَّهم نصبوا أنفســـهم آلهة للبَشر، يتحكَّمون في تاريخهم ومصيرهم، يتحكَّمون فيهم نظريًّا بما شاؤوا من التأويل والتفسير، ويتحكمون فيهم عمليًّا بما شاؤوا من التغيير والتحوير.

رابعًا: وإمَّا أنَّهم لم يتحرَّروا بعد من العبوديَّة الفكريَّة والتبعيَّة العقليَّة لغيرهم، فلا يزالون يقدِّســـون أقوالًا لذلك الفيلســـوف الشـــهير، أو ذلك الأديب الكبير، وذلك المصلح الخطير. فهم في الواقع يستندون إلى عقول غيرهم في موضع لا يصحُّ فيه الاعتماد إلَّا على عقولهم أنفسهم، وما تبيَّن لهم من الحقِّ، إنَّهم في حقيقة الأمر عبيد مُقَلِّدون لا أحرار باحثون.

ومن هذا الصنف كثير من المثقَّفين عندنا. فقد هالهم ضخامة وروعة ذلك الصنم الكبير المزوَّق الَّذي صنعته أوربا ـ أعني به الحضارة المادِّيَّة الحِسِّـــيَّة الصناعيَّة ـ فخـــرُّوا لهذا الصنم ســـاجدين، وانقادوا لســـدنته صاغرين، فهـــم حين يقرؤون عن حضـــارة الغرب أو فلاســـفة الغرب، يقرؤون بعقليَّة المعجب المفتون، وحين يذهبون إلى ديار الغرب ينظرون إليها بعين العاشق المشدوه.

إنَّ هؤلاء قد وضعوا أنفسهم في موقف لا يستطيعون معه استخلاص الحق من بين الأباطيل، ولا اطِّراح الباطل الَّذي لَبِس لُبُوس الحَقِّ.

إنَّ موقف هؤلاء المســـاكين لا يبلغ أن يكون موقف التلاميذ، فإنَّنا نعرف كثيرًا من التلاميذ يناقشون أســـاتذتهم بحُرِّيَّة وشجاعة، ويأخذون

QaradawiBooks.com

منهم ويَدَعون، فهـل يمكننا أن نصف موقفهم إلَّا بأنَّـه موقف العبيد؟ العبيد الَّذين ذابت شخصيَّتُهم في إرادة سـادتهم، فبهم يسمعون، وبهم يبصرون، وبهم يعقلون، إن كانوا يعقلون!

إنَّ بريقَ الحضـارة المنتصرة يخطـف أبصارهم، وطَنِيْنَ الأسـماء اللامعة يدوي في أسـماعهم، فلا يملكـون بعد ذلـك إلَّا أن يُطَأطئوا الرؤوس، ويسيروا في الرِّكَاب خاشعين.

وقد وقع في هذه الغلطة نفسـها أفـراد من عمالقـة التفكير ممن يُعرفون بالفلاسفة في تاريخ الإسلام. فعندما ترجموا الفلسفة اليونانية راعهم هذا الإنتاج الفكري الجبَّار، وشَدَهَتْهم تلك الأسماء الرنَّانة الَّتي أنتجت هذا التراث، فملك الإعجاب بها عليهم أنفسهم، وأفضى ذلك بالبعض منهم إلى تقديس كلِّ ما في هذه الفلسـفة من آراء، وكان فيها كثير من الخرق ملتبسًـا بكثير من الباطل، فلم يسـمح لهم إعجابهم الشديد أن يقفوا موقف المستقلِّ في تفكيره، المعتدِّ بما عنده، فينتحل ويتخيَّر، ويـزن ويُرَجِّح، ويُصـوِّب ويُخطِّئ، ويأخذ ويتـرك، ولكنَّهم خلطوا ما يُقبل فيه الظنُّ، بما لا يُقبل فيه إلَّا اليقين، وقاسوا ما هو من شـأن العقل بما ليس من شأنه، وحسـبوا أنَّ الَّذي انتهى إلى مقرَّرات يقينيَّة في الرياضيَّـات والطبيعيَّات لا بدَّ أن تكـون مقرَّراته قاطعة في الإلٰهيَّات وما وراء الطبيعة.

وكانت النتيجة أن أوَّلوا كثيرًا من آيات القرآن، لتوافق فلسفة أرسطو في شـأن الإلٰه، أو العِلَّة الأولى، أو المحرِّك الأوَّل كما سمَّاه، أو توافق آراء الفلكيِّيـن اليونانيِّين الَّذين زعموا أنَّ الأفلاك العُلويَّة أجسـام صلبة لا تقبل الخرق ولا الالتئام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فيا ليت هؤلاء الفلاسفة يعلمون أنَّ كثيرًا من الأفكار الَّتي قدَّسوها وأوَّلوا القرآن لأجلها قد أصبحت في عِداد الخرافات وأساطير الأوَّلين، لم يَعُدْ شكل الأرض والكون كما تصوَّره، ولم تَعُدْ الأفلاك كما فهموا، وليس الكون مركَّبًا من العناصر الأربعة: الماء، والتراب، والهواء، والنار، كما كانوا يظنُّون بل يوقنون.

إنَّ تلميذ المدارس الابتدائيَّة اليومَ يعرف عن الكون والحياة معلومات صحيحة أكثر ممَّا كان يعرف أفلاطون وأرسطو!

قال الطالب:

فماذا يجب على الإنسان الَّذي يرغب في الاهتداء إلى الحقِّ أن يفعله؟

قال الأستاذ:

ذلك بيِّن ممَّا ذكرت من العوارض والآفات. أعني، أنَّ عليه أن يحذر من تلك المُضِلَّات الَّتي تنحرف به عن سواء الصراط، وتميل به عن طريق الحقِّ المستقيم:

عليه أن يطرح الظنون والأوهام من تفكيره، ويطارد الأهواء والنزعات من نفسه، وأن يتحرَّر من التبعيَّة والعصبية لأفكار سابقة لم تثبت صحتها بيقين، وأن يكون على قدر من التواضع يجنِّبه الغرور والعُجْب، فيعرف حدود ما هو في استطاعة فكره، وما هو فوق استطاعته.

وقبل ذلك كلِّه عليه أنْ يتأكَّد من صدق نيِّته وإخلاصه في طلب الحقِّ، وإيثاره على هوى نفسه وتقاليد قومه، وأنْ يتجرَّد مع ذلك من تأثير العقل الجَمعي وإيحاءاته، وفي ذلك يقول الله مخاطبًا رسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

QaradawiBooks.com

ومن دلائل الإخلاص في طلب الحقِّ ألَّا يتحيَّزَ طالبُه، فإنَّ المخلص يقبل الحقَّ من أيِّ جهةٍ أتى، وعلى يدِ أيِّ إنسانٍ ظهر. أمَّا المُتَحَيِّزُ فلا يقبل الحقَّ إلَّا إذا جاء من حيث يهوى، وهذا ما عابه الله على اليهود الَّذين كفروا بمحمَّد ﷺ، لأنَّه ليس من بني إسرائيل، مع أنَّهم كانوا ينتظرون بعثته، ويستفتحون به على الوثنيِّين في الجاهليَّة.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩ ـ ٩١].

ومن دلائل الإخلاص في طلب الحقِّ أن يقبله الإنسان، ولو كان عليه لا له، بل ولو كانت نتيجته الابتلاء بالجوع والخوف ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

هناك مَن طلب الحقَّ، فلمَّا عرف أنَّه قد يُصيبه في دنياه؛ في ماله أو جاهه أعرض عنه. ومن أبرز الأمثلة لذلك «هرقل» إمبراطور الروم الَّذي أرسل إليه الرسول ﷺ كتابه لِيُسلم فَيَسلم، ويكسب الخيرَ والهُدى لنفسه ولقومه. وقد استدعى أبا سفيان ومَن معه من رجال قريش وهم مشركون، فسألهم أسئلة دقيقة عن محمَّد ونشأته وشخصيَّته ودعوته ومَن معه ومَن عليه. ممَّا أكَّد له ـ بكلِّ وضوح ـ أنَّه الرسول المنتَظر حقًّا لهداية البَشريَّة، ولكنَّه لمَّا وجد رجال الكهنوت ثائرين عليه، غلب حبُّ مُلْكه على الحقِّ

QaradawiBooks.com

الَّذي عرفه[1]. وهكذا حدَّثنا القرآن عن بني إسرائيل الَّذين لا يقبلون نبوَّة نبيٍّ إلَّا إذا جاءهم بما تهوى أنفسهم. قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]؟

ويقول تعالى في شأن جماعة من المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٠].

قال الطالب لأستاذه:

وإذا عرفنا الحقَّ وتبيَّن لنا الرشدُ من الغَيِّ، فهل يكفينا هذا لنكون من أهله وحزبه؟ كما قال سقراط قديمًا: «الفضيلة: المعرفة».

قال الأستاذ المُرَبِّي:

لا يا بُنَيَّ، إنَّ المعرفة النظريَّة المجرَّدة للحقِّ لا بدَّ منها لتكون على بصيرةٍ، ولكنَّها لا تُجدي ولا تجعلك من أهله إلَّا إذا رسخت جذورها في نفسك، وكان لها الثمرات الآتية:

أوَّلًا: أنْ تُذْعِنَ للحقِّ وتتبعه؛ فإنَّ كثيرًا من النَّاس عرفوا الحقَّ، ولم ينقادوا إليه اتِّباعًا لهوًى أو كِبْرٍ أو حسدٍ أو تعصُّبٍ أعمى، كما قال الله في أحبار اليهود: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ثانيًا: أنْ تعتزَّ بالحقِّ وتنتصر له: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: أنْ تدعو إليه، وتعمل على تكثير جنده، وتُثَبِّتهم عليه، ومن هنا وصف الله المؤمنين الناجين من الخسران بقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

رابعًا: أنْ تثبت عليه وتتحمَّل الأذى في سبيله، وتصبر على البأساء والضراء من أجله، فإنَّ طريق الحق مفروش بالأشواك، محفوف بالمكاره، مليء بالمُعَوِّقات وقُطَّاع الطرق.

هذه سُنَّة الله في الخلق، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا، ولهذا أوصى الله رسوله بالاعتصام بالصبر في آيات كثيرة من كتابه، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، ﴿۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال الطالب:

إنَّه واللهِ لعبءٌ ثقيل!

قال الأستاذ:

ولكنَّ جزاءه عند الله عظيمٌ في الدُّنيا والآخرة.

قال الطالب:

وأي جزاء يناله في الدُّنيا ما دام يعيش في معركةٍ مستمرَّة مع الباطل، وما دام الباطل مدجَّجًا بالسلاح، ومعه العَدَد والعُدَّة، والمال والرجال؟

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

إنَّ الله يداول الأيام بين الناس، تربيةً لأهل الحـقِّ، وتمييزًا لهم من غيرهم، ليبتلـي اللهُ ما في صدورهم وليُمَحِّص ما فـي قلوبهم. كما قال تعالى يخاطب المسـلمين بعد غزوة «أحد»، وقد استشـهد فيها سبعون منهـم: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

وقـال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ولكن العاقبة دائمًا لأهل الحقِّ، ما داموا متَّبِعين لسُنَّة الله في الأسباب والمُسَبَّبات، إنَّ الله تعالى أقام الحياتين: الأولى، والآخرة، على الحقِّ.

ففي هذه الحياة كتب على نفسه أن يُحقَّ الحقَّ، ويُبطل الباطل.

ومَن تأمـل التاريخ وجده قصَّة صـراع بين الحـقِّ والباطل، ينتهي بانتصار الحقِّ وإنْ طال الأمد.

وهذه قصَّة موسـى وفرعون مثلٌ واضح لذلك: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۞ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٧٥ ـ ٨٢].

QaradawiBooks.com

لقد ألقى السحرةُ حبالَهم وعِصِيَّهم وأجمعوا كيدَهم وزيَّنوا باطلهم، حتَّى سحروا أعين النَّاس واسترهبوهم، وجاؤوا بسحرٍ عظيم، وحتَّى أوجس في نفسه خيفة موسى. ولكن ماذا كانت النتيجة؟! النتيجة ما قصَّه علينا القرآن:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧ ـ ١٢٢].

وهل أنزل الله ملائكته يوم «بدر» إلَّا لنصرة الحق وهزيمة الباطل؟! استمع إلى هذه الآيات: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۞ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨].

على أنَّ صاحب الحق يكفيه جزاءً في الدُّنيا ما يشعر به من عِزَّة وسكينة باتِّباع الحقِّ ونُصرته.

قال عبد الله بن المعتزِّ: قال: المنتصرُ بالله: «واللهِ ما عزَّ ذو باطلٍ، ولو طلع من جَبينِهِ القمر، وما ذلَّ ذو حقٍّ، ولو اجتمع عليه أهل الأرض»[(١)].

هذا في الدنيا.

وفي الآخرة يقضي الله تعالى بين عباده بالحقِّ، فيجزي كلَّ نفسٍ بما كسبت، ويُكافئها بما عملت: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٨٥/٢)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩، ٧٠].

وهناك يعترف المؤمنون والمُبْطِلون أنَّهم إنَّما يُجْزَون بالحقِّ وَحْدَه.

فيقول المؤمنون أهلُ الحقِّ حين يدخلون الجنَّة ويتبوَّءون منازلها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأمَّا المشركون الَّذين اتَّخذوا آلهة زعموها تشفع لهم يوم القيامة فقد تبيَّن لهم ضلالهم، فما لهم من حميم ولا شفيع يُطاع، وإنَّما هنا «الله يقضي بالحقِّ»، وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص: ٧٤، ٧٥].

هنالك يلمس الجميع الثمرة الحلوة لاتباع الحق، والثمرة المرَّة لاتِّباع الباطل.

هنالك يوقنون أنَّ الحقَّ ينفع مَنِ اتَّبعه في الدُّنيا وفي الآخرة. ينفع الفرد وينفع المجتمع معًا، أمَّا الباطل فإنَّه ضارٌّ بأهله في الآخرة والأولى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ١ ـ ٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال الطالبُ لشَيْخِه:

لقد ذكرتَ لي أنَّ الحقَّ من مقوماته الثبات والبقاء، وأنَّ الباطل من شأنه التلاشي والفناء، ولكن ألَسْنا نرى في الواقع باطلًا يبقى ويسود ويستمرُّ حينًا من الدهر، ونرى حقًّا يضعف ويُغْلَب وينكمش ويختفي؟!

قال الشيخ:

إنَّ الباطل قد يظهر حينًا في غفلة الحقِّ، ولكنَّه لا يدوم طويلًا، ولا يستمرُّ على ظهوره كثيرًا، فلا بدَّ أن ينكشف ما فيه من زيف، وأن يزحف عليه الحقُّ فيدمغه ويمحوه، كما يمحو الصبح سواد الظلام، وفي هذا يقول القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٨، ٤٩].

إنَّ الباطل كالرغوة المنتفخة وكالزَّبَد الرابي على سطح الماء، يعلو قليلًا ثمَّ يتلاشى ويختفي ولا يبقى إلَّا الماء الخاص والنبع الأصيل. وهذا مَثَلٌ ضربه الله في القرآن فقال: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]. وهذه السُنَّة الإلٰهية في علية الحق على الباطل قد أكَّدها القرآن الكريم في غير موضع من سوره. وتأمل معي مثل هذه الآيات: ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى: ٢٤]. ويصوِّر المعركة بين الحقِّ والباطل، فتحسُّ بأنَّ الحقَّ قذيفةٌ تنقضُّ على الباطل فتسحقُه: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

QaradawiBooks.com

وفي فتح مكَّة أمسك النبيُّ ﷺ برُمْحٍ في يده وأهوى به على الأصنام الَّتي طالما عُبِدت من دون الله وهو يتلو قول الله: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

قال الطالب:

وما رأيُك في حضارة الغرب الَّتي تسود العالَم اليوم: أحقٌّ هي أم باطل؟

قال الشيخ:

إنَّ ما فيها من الباطل أضعافُ ما فيها من الحقِّ، ومن باطلها هذا الغُلُوُّ الَّذي جاوز الحدَّ الوسط في كلِّ أمرٍ:

غلوُّها في تمتيع الجسد على حساب الرُّوح، وفي تقديس العقل على حساب الوحي، وفي الحرص على متاع الدُّنيا على حساب الآخرة، وفي تدليل المرأة على حساب الرجل، وفي إطلاق الحُرِّيَّة للفرد على حساب المجتمع، وفي إيثار المنفعة على حساب الأخلاق، وفي نزعتها القوميَّة على حساب الإنسانيَّة.

وقبل ذلك كلِّه في نسيانها لله تعالى، ممَّا أنساها حقيقة نفسها، وصدق الله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

قال الطالب لأستاذه:

ولكنَّ الإنسان في الغرب حطَّم الذَّرَّة، وغزا الفضاء، وسخَّر الطبيعة، واكتشف كثيرًا من المجهول، فهلَّا نرى هذا التقدم العلمي قرَّبه إلى الحقِّ؟

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

إنَّ الإنسان الغربي يا بُنَيَّ اكتشف أشـياء كثيرة، ولكنَّه لم يكتشفْ سِرَّ وجوده، وسخَّر الطبيعة، ولكنَّه لم يسخِّر هواه، وحطَّم الذَّرَّة ولكنَّه لم يُحَطِّم أوثانَه الفكريَّة والروحيَّة. وما أروع ما قاله أحد فلاسفة الهند لأحد مُفَكِّري الغرب، قال: لقد أحسـنتم أن تُحَلِّقوا في الهواء كالطير، وأن تغوصوا في البحر كالسـمك، ولكنَّكم لم تُحْسِنوا أن تمشوا على الأرض كالإنسان!

قال الفتى مُتَعَجِّبًا:

وإذا كان الغرب هكذا إغراقًا فـي الباطل، فما باله يُمْسِـكُ بعجلةِ القيادة؟ ويتحكَّم في زمام القافلة البَشـريَّة، ويوجه ركْب الحضارة أنَّى يشاء، ويوقد الحرب ويُطْفِئها، والعالَم رهن إشارته، وطوع هواه؟ أليس أولى بالباطل أن يندحر ويُوَلِّي الأدبار؟ أليس سُمِّيَ باطلًا لبطلانه وذهابه وتلاشيه؟ فلماذا بقي الغرب هذه القرون سيِّدًا مسيطرًا؟!

قال الأستاذ الشيخ:

قلتُ لك يا بُنَيَّ: إنَّ الباطل قد يقوم في غفلةٍ من الحقِّ، على أنَّ الباطل إذا ظهر حينًا، فإنَّما ذلك لشـيءٍ من الـحقِّ اختلسه فضمَّـه فـي حناياه.

ألا ترى اللصوص يبقى أمرهم جميعًا ما دام معهم بصيصٌ من الحقِّ يتعاملون به فيمـا بينهم فقـط، كاحترام القَسَـم فيما بينهـم، وكتمانِ ما تواصوا بكتمانه، واقتسام ما سرقوه بالعدل، ومعاونة مَن سقط منهم... وهكذا، حتَّى إذا تسـرَّب هـذا البصيص من بينهم فلا بدَّ أن ينكشـف

QaradawiBooks.com

أمرهم وينفرط عقدهم، وتقبض عليهم يد العدالة، فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ويُساقون إلى عذاب الهُون جزاءً بما كانوا يكسبون؟

إنَّ لدى الغربيِّين بقايا من حقٍّ إلى جانبِ ركامٍ هائلٍ من الباطل، لا بدَّ أن يُدَمِّر عليهم حضارتهم وينقل الزمام إلى غيرهم.

وقد قيل قديمًا: دولةُ الباطل ساعة، ودولةُ الحقِّ إلى قيام الساعة.

قال الفتى:

إنَّنا نقرأُ بين الحين والحين أقوالًا لمُفَكِّرين من الغرب نَفْسِه ينعون على حضارتهم مادِّيَّتها المُسرفة وحيوانيَّتها الهابطة، فهل يمكن أن يكون هؤلاء رسلَ هدايةٍ لقومهم؟ وهل نأمل في يومٍ يؤوب فيه هؤلاء الغافلون إلى فطرتهم ورشدهم؟ وإلَّا فما السبيل إلى هداية الإنسانيَّة، وإنقاذها ممَّا تردَّت فيه من الباطل والغَيِّ؟

قال الشيخ:

صحيحٌ يا بُنَيَّ أنَّ بعض الغربيِّين قد أفاقوا من سُبَاتهم فرأوا حضارتهم قد مسخت فطرةَ البَشر، وحرَمَتْه سكينةَ النَّفْس، ودمَّرت عليه خصائص الإنسانيَّة. ومن هؤلاء، شبنجلر في كتابه «تدهور الغرب»، وبرنارد شو في مسرحيته، وتوينبي في كتب التاريخ، وبرجسون، وكولن ولسون في «سقوط الحضارة»، ولننجستون في «التربية لعالمٍ حائر»، وألكسيس كاريل في «الإنسان ذلك المجهول» وغيرهم وغيرهم. بَيْد أنَّ هؤلاء جميعًا شخَّصوا كثيرًا من الداء، ولكنَّهم لم يهتدوا بعدُ إلى حقيقة الدواء.

قال الطالب:

فما الدواء ـ إذن ـ وكيف يهتدون إليه؟

QaradawiBooks.com

قال الأستاذ:

الدواء عندنا نحــن، وليس عند غيرنا، الدواء فــي حضارتنا الربَّانيَّة الإنسانيَّة العالَميَّة، حضارة الحقِّ والخير والتوازن والعدل، الَّتي تضع كلَّ شيء في موضعه وتعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ولا يطغى جانب من الحياة فيها على جانب، فهي تشيِّد المسجد إلى جانب المصنع، وتُعلي المئذنة كما تُعلي المِدْخنة، تجمع بين الدِّين والعلم، وتوفِّق بين العقل والقلب، وتمزج بين الرُّوح والمادَّة، وتصل بين الأمس واليوم والغد، وتربط بين المثال والواقع، وتُقسِط بين الحقِّ والواجب، وتعدل بين الرجل والمرأة، وتوازن بين الفرد والمجتمع، وتصلح بين الغنــيِّ والفقير، وتؤلِّف بين الشعب والحاكم، وتؤاخي بين الإنسان والإنسان.

إذا اهتدت الإنسانيَّة إلى هذه الحضارة، فقد اهتدت إلى سرِّ السعادة وروحها. وإلَّا كانت جهودها هباءً، ومحاولاتها كســرابٍ بِقِيعَةٍ يحســبه الظمآن ماءً حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

لن تهتدي الإنســانيَّة إلى الحقِّ وهــي تطلبه من فلســفات وضعيَّة متناقضة، ومذاهب أرضيَّة هابطة تُعالج مشــكلةً بخَلْقِ أخرى، وتتداوى من داءٍ بداءٍ جديد.

ولن تهتدي إلى الحقِّ وهي تُسْــلِم أَزِمَّتها الفكريَّة والروحيَّة لأناسٍ لا يرجون الله والدار الآخرة، همُّهم استغلالُ الغرائز وإيقاظُ الشهوات.

لن تهتدي الإنسانيَّة إلى الحقِّ، إلَّا إذا طلبته من مصدره الأوحد وهو كتاب الله الخالد (القرآن) وإلَّا إذا تســلَّم قيادتَها رجالٌ يُقَدِّســون الحقَّ ولا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادًا.

QaradawiBooks.com

ومَن يكون هؤلاء إلَّا المسلمون، يوم يعودون مسلمين حقًّا.

المسلم هو الَّذي يُقَدِّس الحقَّ، ويعيش له ويموت في سبيله.

فالحقُّ في اعتقاد المسلم اسمٌ من أسماء الله، ووصف من أوصاف كتابه، ونعت من نعوت رسوله، وقيمة عُلْيا من قِيَم دِينِه.

والمسلم باعتباره فردًا، مُطَالَب بأن يعرف الحقَّ ويؤمن به ويدعو إليه، ويصبر على ما يلقاه في سبيله.

والمسلمون ـ باعتبارهم أُمَّة ـ مُطالبون بأن يقيموا الحق في الأرض ويتواصوا به ويهدوا إليه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

غير أنَّ المسلمين ـ وا أسفاه ـ غافلون عن الحقِّ الَّذي شرَّفهم الله به وحمَّلهم أمانة تبليغه ونُصرته، ونشر نوره في العالمين.

فكيف يهدي النَّاس إلى الحقِّ مَن عَمِيَ عنه أو تعامى، ومَن نسيه أو تناساه، وفاقد الشيء لا يعطيه؟!

قال الطالب:

هل أفهم من كلامك أنَّك يائس من غلبة الحقِّ على الباطل.

قال الشيخ:

لا، لا ينبغي لأحدنا أن يَتَسَرَّب إلى فؤاده اليأس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ويقيني أنَّ الحقَّ لا بدَّ أن تقوم له دولة، وأن ترتفع رايته في الأرض، ولا بدَّ أن ينهزم الباطل ويلوذَ بالفرار.

QaradawiBooks.com

وقد بدت بشائرُ انهزام الباطل في الغرب، بشائر كثيرة تبعث على الأمل وتُبَدِّد ظلام اليأس.

إنَّ ممَّا يبعث على الأمل أنَّ الاستعمار الَّذي أغلق كثيرًا من النوافذ الَّتي تهب منها نسمات الحُرِّيَّة الفكريَّة على الشعوب، قد حمل عصاه ورحل عن أقطار كثيرة، فأتاح فرصةً للأفكار أنْ تتحرَّر، وللعقول أنْ تبحث.

ويبعث على الأمل أنَّ الإلحاد أخذ يتضاءَل ويُخفي رأسَه ويخفت صوتُه، ولم يَعُدْ له حُجَّةٌ ولا سلطان، وكلَّما تقدَّم العلم ازداد عدد المؤمنين بالله، وتناقص عددُ المنكرين.

ويبعث على الأمل أنَّ كثيرًا من المُفَكِّرين المنصفين أخذوا يَشْكُون من طغيان المادِّيَّة على الحياة، وطفقوا يبيِّنون مثالب الحضارة المادِّيَّة، وخطرها على خصائص الإنسان وتهديدها للقِيَم الأصيلة والمُثُل العليا في الحياة.

ولا بدَّ أن يأتي اليومُ الَّذي يُزهَق فيه الباطل، وتزول دولة الضلال أمام عسكر الحقِّ الزاحف المنتصر، هذا ما ينبئ عنه الواقع، وما تُحِسُّ به القلوب النيِّرة، وما تقضي به سُنَن الله في الخلق، وما تنطق به آياته الحكيمة الصادقة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. وصدق الله العظيم.

وهنا حقيقة لا بدَّ أن نذكرها:

وهي أنَّ الحقَّ لا ينتصر وحده، ولكن سُنَّة الله أن ينصر الحقَّ، إذا كان له رجال يؤمنون به، ويدعون إليه، ويتجرَّدون له، ويعيشون من

QaradawiBooks.com

أجله، ويموتون في سبيله. ولهذا قال الله لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

فإنْ كان لي من نصيحة أنصحها إليك يا بُنَيَّ فهي أن تعيش جُنْدِيًّا للحقِّ، تحيا له، وتموت عليه، تحبُّ فيه وتبغض، وتصلُ وتقطع، وتسالمُ وتحارب.

قال الفتى:

وهل أجد في النَّاس من يُعينني على ذلك؟

قال الشيخ:

إنَّ سُنَّة الله يا بُنَيَّ أن يبقى في النَّاس مَن يستمسكون بالحقِّ ويدعون إليه، ولو كثر أهلُ الباطل، ليكونوا حُجَّة الله على خلقه. وفي القرآن: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وفي الحديث: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم من خَذَلهُم، حتَّى يأتي أمرُ الله وهم كذلك**»[(١)].

ويقول عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تخلو الأرضُ من قائمٍ لله بالحُجَّة»[(٢)].

ورحم الله شوقي إذ يقول:

إنَّ الَّذي خَلَقَ الحَقِيقَةَ عَلْقَمًا لَمْ يُخْلِ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ جِيلَا[(٣)]

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠)، عن ثوبان. وقد صح عن عدد من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٩/١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١)، وقال: هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنًى وأشرفها لفظًا. كما شرحه ابن القيم شرحًا وافيًا في مفتاح دار السعادة (٣٤٨/١) وما بعدها، تحقيق عبد الرحمٰن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

(٣) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

على أنَّ جنديَّ الحق لا يضيره أنْ يقف في الميدان وحده، يصارع الباطل بعدده وعُدَّته، ويتحدَّى الضلال بسلطانه وجبروته. فإن عاش، عاش بالحقِّ سعيدًا، وإن مات، مات في سبيله شهيدًا.

وحسْبك مثلًا على ذلك من أولي العزم من الرسل شيخ المرسلين نوح عليه السلام، الَّذي ظلَّ ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا يدعو قومه إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وإن لم يزدهم دعاؤه إلَّا فرارًا.

وأبو الأنبياء إبراهيم الَّذي قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

قال الفتى:

وما قيمة صيحة حقٍّ في صحراء مترامية من الباطل؟ أليست كما قيل: صيحةٌ في واد، ونفخةٌ في رماد؟

قال الشيخ:

إنَّ صيحةَ الحقِّ يا بُنَيَّ لا تذهب سُدًى، إنَّها تترك أثرها في ضمير الوجود، وإن لم تسمع لها دويًّا، ولم تلمس لها أثرًا مباشرًا، وهي إنْ تذهبِ اليومَ مع الريح، فغدًا تذهبُ بالأوتاد، وهي إنْ ضاعت عند النَّاس فلن تضيعَ أبدًا عند الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

وهَبْ أنَّ النَّاس كُلَّهم قد انطمست بصائرهم، وخُتم على سمعهم وأبصارهم، وغشَّى الباطل على قلوبهم، فلم يعودوا يستجيبون لصيحةِ الحقِّ ولا لدعوة الخير، فلا يَفُتَّنَّ ذلك في عضدك، ولا يُقْعِدَنَّكَ عن

QaradawiBooks.com

واجبك. فإنَّما عليك البلاغ وعلى الله الحساب. عليك الدعوة، وعلى الله الهداية. عليك أن تبذر الحب، وأن ترجو الثمار من الربِّ. وفي القصَّة القصيرة الَّتي ذكرها القرآن عن القرية الَّتي كانت حاضرة البحر، عِبْرة وعِظَة: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]. معنى هذا أنَّه لا فائدة تُرجى من وعظهم وقد أعرضوا وعاندوا وحقَّت كلمة الله عليهم، فماذا قال أولئك؟ ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. لقد علَّلوا وعظهم لهؤلاء الَّذين لا خير فيهم بأمرين: الإعذار إلى الله بأداء الواجب، والرجاء في أنْ يهديهم الله ويهدي بَعْضَهم إلى الحقِّ.

إنَّ الأمل جزءٌ من دِينِ المسلم؛ لأنَّه ثمرة حُسْن الظنِّ بالله والثقة بوعده، واليقين بما عنده.

وهذا شأن الداعين إلى الحقِّ، يحدوهم دائمًا الأمل الحلو، ويُعَمِّر جوانحهم الرجاء الباسم، ولا يعرف ظلام اليأس إلى صدورهم سبيلًا: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وكلَّما ادْلهَمَّ الباطل من حولهم ازداد إيمانهم بحاجة النَّاس إلى النور، وكلَّما أمعن الفساد في الظهور والانتشار امتلؤوا يقينًا بضرورة الإصلاح، وكلَّما زحف تيار الكفر الصريح أو المقنَّع ازدادوا قدرةً وإصرارًا على المقاومة.

وكلَّما أطبقت عليهم المِحَنُ الداجنة[1] أيقنوا أنَّ الفَرَج قريب.

(١) أي المظلمة الغائمة.

QaradawiBooks.com

إنَّ أحلك ساعات الليل سـوادًا هي الَّتي تسـبق الفجر، وإنَّ أشدَّ الأيام قسوة هي الَّتي تسـبق تباشير النصر، وما أكثر الأمثلة على ذلك! وما أكثر الأدلَّة!

إنَّ الحق الَّذي أكرمنا الله به، فيه ـ وحده ـ فلاحنا وخلاصنا في أولانا وأخرانا، وفلاح الإنسانيَّة كلها معنا. وإنَّما تحتاج الإنسانيَّة إلى أُمَّة ترى فيها الحقَّ نماذج بشـريَّة تمشي على الأرض لا كلمات وشعارات تزحم الكتب، وتتغنَّى بها الألسنة والأقلام.

يوم ترى الإنسانيَّة الحقَّ ممثلًا في أُمَّةٍ تعرفه وتحبُّه وتحرسه وتنشره وتدعو إليه وتضحِّي في سبيله. يومها سَتُسَـلِّم لها الزمام، وتسير خلفها طوعًا أو كرهًا. يومها يهرب الظلام، وينكمش الباطل، ويتراجع الشيطان.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٧].

تمَّت بحمد الله.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾	١١ ـ ١٣	١٢، ٥٢
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٤٤	٢٨
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	٤٢
﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾	٨٧	٦٠
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾	٨٩ ـ ٩١	٥٩
﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾	١٠٩	٥٠
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾	١٣٨	٤٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٤٣	١٨
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤٦	٦٠
﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾	١٦٦	٤٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾	١٧٠	٤٦
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	١٧١	٤٦، ٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾	١٧٢	٤٠
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	١٨٦	٤٠
﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ ﴾	١٨٧	٤١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾	٢٠٨	٤٣
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٢١٣	١٦
﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ ﴾	٢٢٠	١٨
﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ ﴾	٢٢٨	٤١
﴿ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٢٣٣	٢٤
﴿ مَّتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٢٣٦	٢٤
﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾	٢٨٢	٢٤
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾	٢٨٥	٣٤
سورة آل عمران		
﴿ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾	١٣	٢٨
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٦٤	٤٠
﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾	١٤٠، ١٤١	٦٢
﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾	١٧٩	٦٢
﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ ﴾	١٨٦	٦١
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ ﴾	١٩٠	١٩، ٢٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾	١٩١	١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾	٣٤	٤١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨، ٥٩	٤١، ٤٢
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	١٠٥	١٥، ٣٦
﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾	١٢٢	٤٣
﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾	١٥٧	٥٤
سورة المائدة		
﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾	٧	٢٤
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾	٤٤	٣٤
﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾	٤٦	٣٤
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٤٨	١٥
﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾	٤٩	٤٢
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾	٥٠	٤٣
﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾	٨٣، ٨٤	٣٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾	٨٧	٤٠
سورة الأنعام		
﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	٥٠	٢٨
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾	١١٤	٣٦
﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾	١١٥	١٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾	١١٦	٥٥
﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾	١١٩	٥٤
﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا ﴾	١٥٤	٣٤
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	١٥٥	٤٢
سورة الأعراف		
﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٣٠	٥٢
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾	٣١، ٣٢	٤٠
﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ ﴾	٣٨	٤٧
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾	٤٣	٦٤
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾	٧٠	٤٦
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾	١١٧ ـ ١٢٢	٦٣
﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا ﴾	١٦٤	٧٤
﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ ﴾	١٧٦	٥١
﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	٤٦
﴿ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾	١٨١	٧٢
﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾	١٨٥	٢٨، ٤٠
سورة الأنفال		
﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾	٥ ـ ٨	٦٣
﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ ﴾	٣٢	٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	٤١
﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٦١	٤١
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٧٢
سورة التوبة		
﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	١١	٤١
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٤١
سورة يونس		
﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾	١٦	٢١
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾	٣٢	٤، ١٢، ١٣
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٣٦	٥٤
﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾	٣٩	٤٤
﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾	٥٣	١٥
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾	٧٥ ـ ٨٢	٦٢
﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾	٧٨	٤٧
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠١	٢٦
﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	١٠٩	٦١
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٣٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٧٠
سورة الرعد		
﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾	١	٣٦
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٣	٢٨
﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	٧	٣٠
﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾	١٧	٦٥
سورة إبراهيم		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤، ٢٥	٧٣
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾	٣٢ ـ ٣٤	٢٦
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٣٤، ٣٩
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٧٤
سورة النحل		
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٢	٢٨
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٣٦	٣٣
﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٢٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٦٠	١٦
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾	٧٨	٤٥
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	٣٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	٩	٣٨
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	١٣، ١٤	٢٦
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ ﴾	٣٦	٤٥
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٦٦
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾	٨٨	٣٥
﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾	١٠٥	٣٦
سورة الكهف		
﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾	٩٨	١٥
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٠٣، ١٠٤	٥٣
سورة طه		
﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾	٥٤	٢٨
سورة الأنبياء		
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧	٢٧
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	١٨	٦٥
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	٢٢ ـ ٢٤	١٩
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٢٤	٤٤
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾	٢٥	٣٣
﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾	٥٢، ٥٣	٤٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٦	١٣
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾	٤٦	٢٧، ٣٦، ٤٠
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾	٦٢	١٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	٦٥	١٨
سورة المؤمنون		
﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾	٤٧	٥٠
﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	٦٨ ـ ٧١	٢٩، ٤٩
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾	٩١	١٩
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥، ١١٦	٤، ١٤
سورة النور		
﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾	٢٥	١٣
﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾	٣٥	٢٤
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ﴾	٤٧ ـ ٥٠	٦٠
سورة الفرقان		
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣، ٤٤	٥١
سورة النمل		
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾	٧٩	٦٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٤٥
﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾	٧٥	١٣، ٦٤
﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾	٧٥	٦٤
﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾	٧٧	٢٦
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٨	١٣
سورة العنكبوت		
﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾	٢٠	٤٠
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾	٤ ـ ٧	٧٥
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾	٨	٢٨
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	٤١
﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾	٢٩	٥٥
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	٦١
سورة لقمان		
﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾	٣٣	١٥
سورة الأحزاب		
﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾	٦٦ ـ ٦٨	٤٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾	٦	٣٦
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٣١	٤٧
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾	٣٤	٥٠
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾	٤٦	٢١، ٢٨، ٥٨
﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾	٤٨، ٤٩	٦٥
سورة فاطر		
﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	٣٠
سورة ص		
﴿ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٦	٤٥، ٥٥
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٢٧	١٤
سورة الزمر		
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾	٢٣	٣٩
﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾	٦٩، ٧٠	٦٣
سورة فصلت		
﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾	٥	٤٨
﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾	٤١، ٤٢	٣٦
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾	٥٣	٧١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ﴾	١٣	٣٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	١٧	١٥، ١٧
﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾	١٨	١٥
﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	٢٤	٦٥
سورة الزخرف		
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾	٢٣، ٢٤	٤٧
﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾	٢٦، ٢٧	٧٣
﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾	٢٩ ـ ٣١	٥٠
﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾	٧٤ ـ ٧٨	٤٤
سورة الدخان		
﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	٣٨، ٣٩	٤، ١٤
سورة الجاثية		
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾	١٣	٢٦، ٤٠
﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾	٢٣	٥١
﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	٢٨، ٢٩	١٥
﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٣٦	١٨
سورة الأحقاف		
﴿ٱئۡتُونِى بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	٤	٢٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	٧	٥٠
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ﴾	٢٦	٤٦
﴿ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا ﴾	٢٩، ٣٠	٣٧
﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾	٣٤	١٥
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	٣٥	٦١
سورة محمد		
﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾	١ ـ ٣	٦٤
﴿ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾	١٦	٥١
سورة ق		
﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾	١٩	١٥
سورة الذاريات		
﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾	٢٠	٢٦
﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	٢١	٢٦، ٢٨
سورة الطور		
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٢٨	١٨
﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾	٣٢	٢٢
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ ﴾	٣٥، ٣٦	١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾	٢٣	٥٥
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	١٧	٣٨
سورة الحديد		
﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٨	٢٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	٢٥	١٧، ٣٣
سورة الحشر		
﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾	٢	٢٧
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	١٩	٦٦
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾	٢١	٣٨
سورة الملك		
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	١٠، ١١	٤٦
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٤	١٨
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ ﴾	١٥	٤٠
سورة المعارج		
﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾	٢٤، ٢٥	٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القيامة		
﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾	١٤، ١٥	٢٢
سورة الشمس		
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾	٧، ٨	٢٢
سورة العصر		
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	١ ـ ٣	٦١، ٧٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

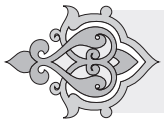

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا، جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه	٢٢
استفتِ قلبَكَ، واستفتِ نَفْسَكَ، البرُّ ما اطمأنَّت إليه النَّفْس	٢٥
أَصْدَقُ كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا اللهَ باطل	٥، ١٣
أنتم أعْلمُ بأمر دنياكم	٢٦
ح	
الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن، وبينهما مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثير من الناس	٥، ٢٥
ط	
طلبُ العلمِ فريضة على كلِّ مُسْلِمٍ	٢٧
ك	
الكلمة الحكمة ضالَّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها	٥، ٢٧
ل	
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم من خَذَلهُم	٧٢

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الموضوعات

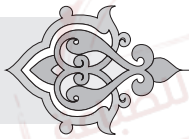

- **من الدستور الإلٰهي للبشرية** ٤
- **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥
- **مـقـدمـــة** ٧
  - ❖ النَّاسُ والحقُّ ١١
- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ٧٩
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ٩٣
- **فهرس الموضوعات** ٩٤

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية